بسم الله الرحمن الرحيم

تحديد الثقافة الإسلامية ١٠١

هذا التحديد اجتهاد شخصي وليس من دكتور ولا احد

وبالنسبة للأدلة يمكن تشوفوها كثيره بس افهموا الربط بين الكلام والآية وحددتها

أسأل الله لكم أعلى الدرجات ودعواتكم..

مقرر الثقافة الإسلامية ١
(١٠١ سلم)

مفهوم الثقافة الإسلامية وخصائصها

١ – تعريف الثقافة في اللغة:

ترد كلمة (الثقافة) ومشتقاتها في اللغة العربية على معان عدة يرجع بعضها إلى أمور معنوية كما يرجع بعضها إلى أمور حسية:

فمن المعاني المعنوية : الحذق والفطنة، وسرعة أخذ العلم وفهمه، .

يقال: ثَقُفَ الرجل ثَقفاً وثقافة أي صار حاذقاً فطناً، وثَقِفْتَ العلم أو الصناعة في أوهى مدة إذا أسرعت أخذه، .[١]

ومن المعاني الحسية: تقويم المعوج، التسوية وإدراك الشيء والظفر به.

ويتضح لنا من هذه المعاني المتعددة لكلمة "الثقافة" في اللغة العربية أنها تستعمل في الأمور المعنوية، كما أنها تستعمل في الأمور الحسية، غير أن دلالتها على الأمور المعنوية العقلية أكثر من دلالتها على الحسيات.

٢ – تعريف الثقافة في الاصطلاح:

لم نجد عند علماء العربية والإسلام – في الزمن الماضي – مفهوماً اصطلاحياً للثقافة، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن هذه الكلمة لم تكن شائعة الاستعمال في أيامهم، فلم نجدهم ينعتون العلماء أو الباحثين بها، كما أنهم لم يتناولوها بدراسة مستقلة أو مميزة. وحين دخلت الثقافة الإسلامية كعلم في حياة المسلمين المعاصرة انتشر التعبير بهذه الكلمة، فأصبحنا نصف فلاناً بأنه مثقف أو واسع الثقافة، وأصبحت لدينا مؤتمرات ثقافية وندوات ثقافية وكتب وموسوعات ثقافية.

وعلى هذا جاء تعريف "الثقافة" بالمعنى الاصطلاحي تعريفاً حديثاً على يد المجمع اللغوي الذي عرفها بأنها: "جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق بها"[٢]

---

(١) أنظر كلا من: أساس البلاغة للزمخشري، و مختار الصحاح للرازي،ولسان العرب لابن منظور، مادة)ثقف)

(٢) د.رجب شهوان وآخرون–دراسات في الثقافة الإسلامية ص٨/مكتبة الفلاح–الكويت ط٢عام ١٤٠١هـ ١٩٨١م

٣- **تعريف مصطلح الثقافة الإسلامية:**

تعددت تعريفات الثقافة الإسلامية والسبب في ذلك يرجع إلى أمرين

الأول: جدة المصطلح وحداثته.

الثاني: اختلاف تصورات العلماء المعاصرين حول هذا المصطلح

وأقرب تعريف لمصطلح الثقافة الإسلامية هو : "العلم بمنهاج الإسلام الشمولي في القيم، والنظم، والفكر، ونقد التراث الإنساني فيها".

ولعل هذا التعريف هو أفضل تلك التعريفات وأقربها إلى الصواب، لاشتماله على موضوعات علم الثقافة الإسلامية الرئيسة، ولأنه تعريف كلي وليس تعريفاً جزئياً.

٤- **العلاقة بين الثقافة وغيرها من المعارف:**

أ- العلاقة بين الثقافة والعلم

هناك علاقة وطيدة بين الثقافة والعلم، وبينها وبين الحضارة، لذا يحسن بيان هذه العلاقات بين الثقافة وهذه المعارف المختلفة.

أولاً: العلاقة بين الثقافة والعلم:

العلم جملة من المعارف المتنوعة التي يحصل عليها المتعلم، والثقافة كذلك .فتقوم العلاقة بينهما على التشابه والتكامل.

أما من ناحية الاختلاف فتتميز الثقافة بالتنوع والشمول، فمن أخذ شيئًا من كل شيء فقد أصبح مثقفاً، وأما العلم فيتميز بالتخصص، فمن أخذ كل شيء تقريبًا من شيء واحد فقد أصبح عالماً، والثقافة طابعها شخصي تختلف من ثقافة أمة لأخرى فثقافة الوثني والنصراني والهندوسي... إلخ. تختلف عن بعضها البعض، لأن كل ثقافة تستمد عناصرها من تصورها الديني في المقام الأول. أما العلم فطابعه موضوعي تتحد فيه النتائج، فالماء مثلاً يتكون من ذرات من الأكسوجين بالإضافة إلى ذرات من الهيدروجين (H_2O) وهذا في كل الثقافات.

فيتبين مما تقدم أنّ ميدان الثقافة أوسع من ميدان العلم، وإن كان العلم يخدم الثقافة ويرشدها، فهي لا تستغني عن العلم.

ثانيا: العلاقة بين الثقافة والحضارة:

الحضارة تتناول جملة من مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي التي تنتقل من جيل إلى آخر في جوانب الحياة المادية، أما الثقافة فهي جملة العلوم والمعارف التي يطلب الحذق فيها، فالثقافة تهتم بالجوانب المعنوية والحضارة ألصق بالماديات، وهذا الفرق في الجانب النظري فقط.

أما في الجانب العملي فهما يرتبطان مع بعضهما ارتباطًا وثيقًا؛ لأن ثقافة كل أمة هي أساس حضارتها وفكرها وأسلوب حياتها،

فالثقافة والحضارة متفقتان من هذه الناحية.

فالثقافة هي المظهر العقلي للحضارة، والحضارة هي المظهر المادي للثقافة.

٥- هداف دراسة الثقافة الإسلامية:

من أهم أهداف دراسة الثقافة الإسلامية ما يلي:

١- تقديم التصور الصحيح الكامل والشامل للحياة والإنسان والكون من خلال تحديد علاقة الإنسان بربه وعلاقته بنفسه والآخرين وبالكون أجمع.

٢- إمداد الدارس بحصيلة مناسبة من المعارف المتعلقة بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، وحضارة بوصفه دينًا عامًّا صالحًا للبشرية في كل زمان ومكان، وهذا يعطيه حصانة ضد تيارات الإلحاد المختلفة.

٣- تنمية روح الولاء للإسلام وتقديمه على ما سواه من صور الانتماءات الأخرى؛ مثل القومية والعرقية أو العنصرية؛ لأنّ الولاية تكون لله ولرسوله ρوللمؤمنين. أي الولاء لما جاء في كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنّة نبيه ρ

٤- إبراز النظرة الشمولية للإسلام باعتباره كلاًّ مترابطًا متكاملاً، لا ينفصل فيه أصل أو فرع عن آخر، والتخلص من النظرة الجزئية له التي تقصره على بعض جوانب الحياة، مثل دعوى الالتزام بالفروض الخمسة، وأخذ الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع، أو تصور الكون بعيدًا عن العقيدة والشريعة.

٥- تحصين الدارس ضد الغزو الفكري بأساليبه ووسائله المختلفة والذي يهدف إلى تمييع الشخصية الإسلامية، أو إذابتها في الشخصية الغربية.

٦- تجلية موقف الإسلام من قضايا العصر في مجالات العلوم النظرية والتطبيقية المختلفة، ونقدها من المنظور الإسلامي.

٧- ترجمة الأخلاق والتعاليم الإسلامية إلى واقع عملي وسلوكي ملموس، يعايشه المسلم في حياته العملية اليومية، باعتبار الإسلام نظامًا تطبيقيًّا في الحياة.

٨- بيان خصائص الإسلام وسموه، وإظهار وسطيته وقدرته على تحقيق السعادة في الدارين.

٦- آثار الثقافة الإسلامية:

- أثرت الثقافة الإسلامية على الثقافة الأوربية في مختلف الميادين، ومنها ميدان العقيدة والدين.

- وأكد كثير من الباحثين أن لوثر في حركته الإصلاحية كان متأثرا بما قرأه للفلاسفة العرب والعلماء المسلمين.
- انتشار الإسلام وثقافته في الشرق الأقصى مع حركة التجار التي كانت إحدى قنوات الاتصال المهمة حيث نقل التجار المسلمون الكثير من مظاهر الثقافة الإسلامية إلى مختلف الشعوب في قارة آسيا وأفريقيا.
- كما انتشرت الثقافة عبر حركة الترجمة حيث ترجمت أمهات الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأخرى في مختلف ميادين العلم والفلسفة والقرون الوسطى وعصر النهضة.
- على الرغم من هذه الآثار إلا أنه يلحظ في دراسة كثير من المستشرقين التهميش والتجهيل والإنكار لمآثر العرب والمسلمين، ويرجع سبب ذلك إلى تلك الصورة المشوهة عن المسلم وثقافته.

٧- مصادر الثقافة الإسلامية:

نقسم مصادر الثقافة الإسلامية إلى قسمين:

أولاً :مصادر شرعية أصلية، وهي الكتاب والسنة النبوية الصحيحة.

ثانيًا :مصادر فرعية، وهي الإجماع والقياس وغيرهما

أولاً: المصادر الشرعية الأصلية:

المصدر الأول: القرآن الكريم

هو كلام الله الذي أوحى به إلى نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – بلفظه ومعناه والذي تعبدنا بتلاوته والعمل به.

وهو المصدر الأول للثقافة الإسلامية؛ لأنه المصدر الأول للإسلام، وهو كليُّ الشريعة وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، نور الأبصار والبصائر، لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره

وقد قال الله تعالى فيه ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥].

والقرآن هو: كلام الله المنزل على رسول الله pالمتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة فيه، المبدوء بسورة بالفاتحة، المنتهي بسورة الناس، والمجموع بين دفتي المصحف الشريف.

وقد بدأ نزول القرآن الكريم على رسول الله pرمضان وهو في غار حراء، وكان أول ما نزل منه سورة (العلق)، ثم تتابع الوحي على رسول الله pمدة استغرقت حوالي ثلاث وعشرين عامًا، ينزل فيه القرآن الكريم منجمًا مفرقًا لحكمة جليلة، وهو يعتبر الوثيقة الأهلية الوحيدة المحفوظة من التحريف والتبديل، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

والقرآن الكريم هو المصدر الأول والقانون الأساس الذي يرجع إليه المسلمون؛ للتعرف على أحكام الدين في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، فهو بذلك جوهر الثقافة الإسلامية الذي بنى مضمونها ورسم حدودها، وصبغ شخصيتها بلون متميز فريد، وبواسطته تتكون عند المسلم صورة كاملة عن الكون والإنسان والحياة، وتصبح معارف

المسلمين وعلومهم موجهة بوجهته، مما يجعل ثقافتهم بكل سماتها ومظاهرها متميزة عن غيرها من الثقافات.

والقرآن الكريم بصفته كتاب هداية للبشر قد تضمن -فيما اشتمل عليه من أحكام- تنظيم علاقة الإنسان مع ربه، وعلاقة الإنسان مع نفسه، وعلاقة الإنسان مع غيره، وما تقوم عليه هذه العلاقات من أسس وقواعد تكفل الخير وتحقق العدل للجميع في كل زمان ومكان، فهو المصدر الأول للثقافة الإسلامية والرافد الذي يغذيها من خلال ما اشتملت آياته عليه من أخبار ومواقف وقصص وأمثال، ودروس وعبر.

من مزايا القرآن:

١- أن الله حفظه من التحريف في القرون السابقة، وسيبقى كذلك إلى قيام الساعة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

أما الكتب السابقة فقد أضيف حفظها إلى أصحابها فحرّفوها[2]، قال تعالى: ﴿ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

٢- أنّ القرآن جاء مؤيدًا ومصدقًا لكل الكتب السابقة ومهيمنًا عليها، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

٣- احتوى القرآن على شريعة عامة للبشر فيها كل ما يسعدهم في الدارين.

٤- جمع القرآن كلّ ما كان متفرقًا من العقائد وأصول العبادات ومكارم الأخلاق في الكتب السابقة.

المصدر الثاني: السنة النبوية:

في اللغة: الطريقة والسيرة والأسلوب والنهج.

وفي الاصطلاح: هي كل ما صدر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة.[4]

والسنة أنواع منها:

السنة القولية: مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ.[5] »

السنة العملية: مثل أفعال وضوئه – صلى الله عليه وسلم – وصلاته وحجّه.

السنة التقريرية: وهي ما أقره عليه الصلاة والسلام مما صدر عن أصحابه من قول أو فعل بسكوته، أو إظهار الرضا عنه واستحسانه.

ومن السنة: ما يتعلق بشمائله، من صفاته وأخلاقه – صلى الله عليه وسلم–.

فالسنة هي المصدر الثاني بعد كتاب الله تعالى، والاعتماد عليها أمر ضروري في بناء الثقافة الإسلامية؛ لأن القرآن جاء بالعموميات والكليات تاركًا التفاصيل إلى السنة، فلا يعرف قوله تعالى :﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ [البقرة: ٤٣] إلا بقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي ،وغير هذا من الأحاديث الموضحة لكيفية أداء الصلاة بجميع أركانها، وشروطها من فرض وسنّة.

ولا قوله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧]. إلا بقوله – صلى الله عليه وسلم –: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُم[8]»، وغير هذا من الأحاديث الموضحة لكيفية أداء مناسك الحج الفرضية والسنية.

مكانة السنة مع القرآن تأتي على ثلاثة أحوال:

١- أن تكون موافقة له، فيأتي الحكم في القرآن والسنة معًا، مثل الأمر بالصلاة والنهي عن الزنا.

٢- أن تكون السنة بيانًا للقرآن وتفسيرًا له، مثل تفسير الزيادة في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فسَّرها - صلى الله عليه وسلم - بالنظر إلى وجه الله تعالى[9]؛ وتفسيره - صلى الله عليه وسلم - للظلم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] فسرها بالشرك.[10]

٣- أن تجيء السنة بزيادة حكم لم يرد في القرآن؛ مثل:

- إيجاب استئذان المرأة عند إرادة تزويجها.
- تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها.

فالقرآن الكريم والسنة بينهما من التلازم، ما شهدت به كثير من الآيات والأحاديث، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقوله - صلى الله عليه وسلم -: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُم بِهِ كِتَابَ الله وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي.. .. الحديث.»

ثانيا: المصادر الفرعية للثقافة الإسلامية:

١-الإجماع :

من مصادر علم الثقافة الإسلامية الإجماع، "وهو: اتفاق مجتهدي الأمة الإسلامية في عصر من العصور على حكم حادثة شرعية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم."

والإجماع إذا انعقد في مسألة كان دليلاً شرعياً قطعياً ملزماً لا تجوز مخالفته أو نقضه، قال تعالى: { وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا }.

٢-القياس :

القياس من الوَسائِل الَّتِي يستخدمها الفقهاء المسلمون بناء عَلَى نصوص شَرْعِيَّة من أجل الوُصُوْل إلى أحكام فقهية لمسائل مستجدة.

a. والقياس في الُّلغَة: **التقدير والمساواة.**

b. وَفِي اصطلاح العُلَمَاء: إلحاق مسألة لا نص عَلَى حكمها بمسألة ورد النص بحكمها في الحكم الَّذِي ورد بِهِ النص لتساوي المسألتين في علة الحكم. فَهذا الالحاق يُسمى قياساً.

إذا القياس مصدر مهم من مصادر الأحكام في الشريعة الإسلامية، وهُوَ قادر عَلَى إيجاد أحكام شَرْعِيَّة لحوادث مستجدة، وَكَيْ نفهم القياس أكثر إليكم المثال الآتي: " حكم شرب الخمر التحريم لورود النص بِذَلِكَ، وعلة هَذَا الحكم الإسكار، فكل نبيذ فِيهِ هَذِهِ العلة يَكُون حكمه التحريم أيضاً قياسا عَلَى الخمر."

٣-آراء العُلَمَاء :

تَرَكَ العلماء والأسلاف المسلمون عَلى مَرَّ التاريخ الإسلامي آثاراً كَثِيرَة تشكل رَصِيداً كبيراً للثقافة الإسلامية، وَكَنزاً يُمْكِنُ أن يغرف المسلمون مِنْهُ كيفما شاءوا، وَبَعْض الباحثين يطلقون عَلَيْهِ "تراث الحضارة الإسلامية"، وهوَ: ما وصل إلينا عن سلف الأمة الصالح من إجماع وقياس واجتهاد في الفقه والحديث والتفسير والعقيدة، وما جاء عن اللغويين والنحاة وأهل البلاغة والبيان، وما جمعه المؤرخون من سير وأخبار وما خلفه المسلمون من حضارة وعلوم ومعارف وفنون.

٤-التراث الإسلامي :

وَيُمْكِنُ أيضاً أن يشمل تَعْرِيف التراث الإسلامي كل ما ورثه المسلمون عن الأسلاف من عُلوم، ومعارف، وأفكار واجتهادات في تشى المجالات المختلفة. والمعنيان قَرِيبان جداً من بعضهما. وتشكل هَذِهِ الثروة منجماً هَائلاً لِلْمُسْلِمِينَ يغرفون مِنْهُ ما يفيد حياتهم، وَيَجِدونَ فِيهِ الكَثِير من الإجابات عَلَى أسئلة مستجدة، علماً أن هَذَا التراث الضخم لا

يَعْنِي أن يؤخذ مِنْهُ بِطَرِيقَة الغُرَف دونَ التمحيص، والدراسة، والاجتهاد، فعَلَى العكس من ذلِكَ، فَهْوَ يَحْتاجُ إلى إعمال العقل فِيهِ، وعرضه عَلَى الكتاب والسنة، ودراسة الوَاقِع، ومعطياته، ثمَّ تجهيزه لِيَكُونَ مصدراً نافعاً بإذنِ اللهِ لثقافة المسلمين في عصرهم الحديث.

٥-الخبرات الإنسانية النافعة

في العَالَم الكثير من الثقافات المختلفة، والإسلام لَيْسَ ديناً منغلقاً، بَلْ وضع لأتباعه منهجاً جميلاً يَقُوم عَلَى أخذ ما هُوَ نافع، وترك ما غَيْر ذلِكَ بناء عَلَى عرض أي مستجد عَلَى الكتاب وَصَحِيح السنة النبوية الشريفة .

إذا الجهود الإنسانية النافعة، والخبرات البشرية المفيدة في العلوم والصناعات، والنظم المختلفة تعتبر من مصادر الشريعة الإسلامية، بِشَرْط توافقها مَع الكتاب والسنة كَمَا أسلفنا، وهَذَا بدوره ينعكس عَلَى الثقافة الإسلامية الَّتِي تنهل من الشريعة الإسلامية، وتعدها المصدر الأول لَهَا.

والخبرات الإنسانية قَدْ تَكُون في طَرِيقَة التصرف مَع مَوَاقِف مُعَيَّنَة مستجدة، أو من خِلال منتجات حضارية، أو وسائل لتحسين الحَيَاة .

٨- التحديات التي تواجهها الثقافة الإسلامية:

واجهت الثقافة الإسلامية تحديات عديدة متنوعة ومن أهمها:

أولاً: الغزو العسكري:

عانت الأمة الإسلامية من هجمات عسكرية ظالمة استهدفت وجودها وثقافتها منذ القدم ومن ذلك:

حروب المشركين ضد النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه كما في غزوة أحد وغزوة الخندق.

الحروب الصليبية الشرسة (٤٩٠هـ - ٦٩١هـ) التي استهدفت الشام ومصر وأدت إلى انشغال الأمة بها قرنين من الزمان.

والاستعمار الأوروبي للبلدان الإسلامية في القرنين الماضيين (١٧٩٨م - ١٩٦٢م) ومحاولته مسخ الثقافة الإسلامية واستنزاف خيرات الأمة.

وهذه التحديات لن تقضي على دين الله تعالى فقد أخبر المولى سبحانه ببقاء دينه وظهوره} هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ {]التوبة:٣٣[وقال عليه الصلاة والسلام: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك.

ثانياً: الغزو الفكري:

وهو غزو غير مسلح غزو للأفكار والعقول، بعد أن أدرك الأعداء أن الغزو المسلح لا يكفي لإضعاف الثقافة الإسلامية، فعمدوا إلى غزو العقول والأفكار لتحقيق هدف عام وهو إضعاف الإسلام والمسلمين.

١- وسائل الغزو الفكري:

1- الإعلام استغل الغربيون والمستغربون وسائل الإعلام المختلفة لحرب الإسلام,

ونظرة سريعة إلى بعض وسائل الإعلام ترينا مدى البلاء الذي تصبه ليل نهار

لتشويه صورة الإسلام والمسلمين والإساءة إلى معتقداتنا وشعائرنا وسلفنا وعلمائنا, سيل من الشبهات التي تشكك في الدين وأحكامه, وسيل آخر من الأفلام والتمثيليات والمسرحيات التي تتهكم بالإسلام, وتقوم بعرض نماذج من أنماط الحياة تضاد الإسلام في كل شيء , تمجد الجريمة, وتدعو إلى الفسق والفجور, وتنفر من الحياة المستقيمة الفاضلة, وتتهكم بالمسلمين والمسلمات, وتتخذ الدين هزوًا, وتعرض ما حرَّم الله: الرقص الفاضح, وشرب الخمر, والكذب والدجل, وقد أقامت للتافهين أسواق ضخمة في كل مكان باسم الفن.

وقد ازداد خطر هذه الوسيلة مع انتشار الفضائيات، وتنامي الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) حيث نجد المواقع التي تثير الشبهات، وتشكك في العقائد، وتنشر المذاهب الباطلة.

٢- الاستشراق: وهو دراسة الغربيين للشرق وعلومه وأديانه خاصة الإسلام لأهداف مختلفة[4]، ومن أهمها تشويه الإسلام وإضعاف المسلمين.

ومن أهم نتاج المستشرقين في القرن العشرين دائرة المعارف الإسلامية التي صدرت بثلاث لغات: الإنجليزية والفرنسية والألمانية وصدرت في عدة طبعات وترجمت إلى عدة لغات وقد اشترك في تأليفها أكثر من ٤٠٠ مستشرق وبلغت أكثر من ٣٠٠٠ مادة في أكثر من ١٠.٠٠٠ صفحة احتوت على معلومات مهمة عن الشرق والإسلام بالذات، كما أنها اشتملت على شبه ومطاعن متفرقة حول القرآن والعقيدة والشريعة الإسلامية وأعلام المسلمين بلغت أكثر من (٣٠٠) مطعن وانتقاص للعقيدة الإسلامية.[5]

وقد مُلِئَت كتابات المستشرقين بالتعصب الصليبي باعتراف كثير من المستشرقين، يقول برنارد لويس: "لا تزال آثار التعصب الديني الغربي ظاهرة في مؤلفات العديد من العلماء المعاصرين ومستترة في الغالب وراء الحواشي المرصوصة في الأبحاث

العلمية.[6]

إن كثيراً من المستشرقين كانوا أداة للاستعمار، حيث تخلوا عن أمانتهم العلمية لتأييد المحتل، يقول مراد هوفمان، سفير ألمانيا في المغرب – وقد هداه الله للإسلام –:
"والحق أن معظم المستشرقين عن وعي أو غير وعي كانوا أداة لخدمة الاستعمار، وإن كان بعض أولئك كانوا جواسيس للغرب بالفعل، وتتعاون المخابرات الغربية لاسيما الأمريكية مع مراكز الدراسات الاستشراقية, لاسيما فيما يتعلق بالحركات الإسلامية.

٣- التنصير: وهو محاولة إبعاد المسلمين عن الإسلام وإدخالهم في النصرانية فعلى الرغم من أن الأمم النصرانية تبتعد عن النصرانية, وعلى الرغم من بيعهم للكنائس في ديارهم, إلا أنهم حريصون على تنصير المسلمين، وبناء الكنائس في ديارنا.
وقد رصدوا لذلك مئات الملايين من الدولارات, وأرسلوا البعثات التنصيرية مجهزة بكل ما يمكن أن يحقق الهدف الذي قامت من أجله، وعلى الرغم من الصعاب التي تقف في طريقهم، إلا أنهم ماضون في هذا الطريق، وهم يصطادون المسلمين الجهلة, وينشبون أنيابهم في فقراء المسلمين؛ حيث يقدمون لهم بعض ما يحتاجون إليه مقابل تركهم لدينهم وعقيدتهم، بينما نجد العكس فيمن يسلم من الغربيين، حيث يسلم المتعلمون والمفكرون.

وأهم وسائل التنصير :التعليم والصحة والإعلام واستغلال الكوارث والحروب والفقر.

٤- تشجيع العلمانية في البلاد الإسلامية وذلك بإقصاء الإسلام من شتى شؤون الحياة السياسية والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية.
أو فصل الدين عن الحياة وعن شؤون المجتمعات

٥- محاربة الدعوة الإسلامية وذلك لأن الدعوة الإسلامية الصحيحة هي التي تعصم

المجتمعات الإسلامية من الانحرافات والفتن.

٦- التغريب والعولمة الثقافية :وهي باختصار فرض الثقافة الغربية عن طريق المنظمات والمؤتمرات الدولية ووسائل الإعلام المختلفة.

وإن كان للعولمة - بشكل عام - وجوه مفيدة في التقنية والاتصال، والتعارف والمعلومات؛ فإن لها جوانب خطيرة في الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية.

ويهمنا هنا ما يؤثر على الثقافة الإسلامية بدرجة كبيرة وهو الهيمنة الثقافية وفرض القيم الغربية وتغريب المجتمعات المسلمة عن طريق استغلال التفوق التقني والسياسي والاقتصادي والعسكري لاختراق الثقافات الأخرى ومصادرة ثقافات الشعوب وفرض الأنماط الغربية.

ونجد أن الغرب لا يسعى لنشر قيمه الاجتماعية فحسب على الرغم من عدم الاقتناع الواسع بها قيماً، بل إنه يفرضها عبر المؤتمرات الدولية والضغط على الدول التي لا تستجيب.

٩- آثار التحديات التي تواجهها الثقافة الإسلامية:

١- تشويه الإسلام وإثارة الشبهات حول القرآن الكريم والسنة النبوية وعقيدة الإسلام وشريعته، وما يحدث الآن من محاولة لربط الإسلام بالإرهاب هو جزء من هذه الحملة.

٢- تفريق المسلمين وإزالة الوحدة الإسلامية.

٣- الجهل بالإسلام وعقائده وأحكامه في كثير من بلاد الإسلام وانتشار البدع والخرافات والمذاهب الباطلة كالقاديانية والبهائية وانتشار الأفكار العلمانية المتطرفة والتكفيرية الغالية.

٤-الهزيمة النفسية لدى بعض المسلمين واهتزاز الثوابت لديهم ونشوء طبقة من المثقفين المستغربين المنبهرين بالغرب وثقافاته.

٥-إضعاف اللغة العربية وانتشار اللهجات المحلية التي اختارها الله لكتابه كما قال تعالى}:إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً] {يوسف:٢.[

٦-إقصاء شريعة الإسلام من الحكم وتشجيع العلمانية في البلاد الإسلامية وهذا الأثر بذل الكفار في سبيل تحقيقه الكثير من الجهد والمال والفكر, وقد أقنعوا به كثيرًا من الحكام في الديار الإسلامية.

٧-إفساد التعليم وإضعاف التعليم الإسلامي ومدارس القرآن الكريم والمناداة بعلمنة التعليم والدعوة إلى التعليم المختلط.

٨-إفساد المرأة: لقد حرص الكفار على هذا, لأن فسادها يفسد الأبناء والأزواج, فأخرجوها من بيتها, وهتكوا حجابها, وزينوا لها التمرد على دينها بمختلف الأساليب, وزعموا أن تحضرها وتقدمها لا يكون إلا إذا سارت مسيرة المرأة في أوروبا

١٠ - سبل مواجهة التحديات الثقافية:

١ - تعزيز الهوية بأقوى سلاح , وهو العودة إلى الإسلام . قال تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)

٢ - العناية بثقافتنا الإسلامية وباللغة العربية في وسائل الإعلام ومناهج التعليم .

٣ - إبراز خصائص الإسلام وعالميته وعدالته وحضارته وثقافته وتاريخه للمسلمين قبل غيرهم .

٤ - العمل على نهوض الأمة في شتى الميادين دينياً وثقافياً وسياسيا و عسكرياً واقتصادياً وتقنياً . قال تعالى: (إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم)

٥ - مواجهة التحديات بالتعليم والتدريب والتثقيف والتحصين .

٦ - تقليص الخلافات بين المسلمين حكومات وشعوباً وجماعات بالاعتصام بكتاب الله. .

٨- أن تقوم وسائل الإعلام بواجباتها في الحفاظ على الهوية ودعمها .

٩- أن يقوم التعليم بتعزيز الهوية وكشف سلبيات العولمة والتغريب .

١٠ - تنشيط التفاعل والحوار الثقافي والإسلامي مع ثقافات الأمم الأخرى .

١١- تشجيع المؤسسات الخيرية والدعوية داخل البلاد الإسلامية وخارجها .

١١ - موقف المثقف المسلم من الثقافات الأخرى:

تتقاسم العالم ثقافات مختلفة، تمتد كل منها في مناطق كبيرة من العالم، وقد سيطرت الثقافة الغربية في هذا العصر على بقية الثقافات، نظرًا لأنها مدعومة عسكريًّا وإعلاميًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا، لذا سيكون التركيز في بيان الموقف منها بسبب ذلك، وهناك عدة اتجاهات في الموقف منها، وهي:

١- الاتجاه السلبي :يرى أتباعه عدم الأخذ أو الاتصال بأي من الثقافة والحضارة الغربية، وعدم الاستفادة من كل ما انبثق عنها من منافع في مختلف المجالات، يرفضون الثقافة الغربية؛ لأنهم ينظرون لسلبياتها وما تحمله من أمراض لذا جاء الرفض لها ككل

وهذا الموقف لا يتناسب مع الأصول الإسلامية الصحيحة التي تدعو إلى الإفادة من كل شيء لا يصادم أصول الإسلام؛ لأنّ الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها.

٢- الاتجاه التغريبي : يدعو أصحابه إلى الأخذ بكل أسباب الثقافة والحضارة الغربية، مقبلا على كل معطياتها خيرها، وشرها، من علم، وصناعة، وثقافة، وحتى أسلوب الحياة؛ لأنهم يرون أنّ الثقافة كلٌّ لا يتجزأ، إما أن تؤخذ كلها أو تترك كلها. ويكثر هذا الاتجاه لدى العلمانيين أمثال طه حسين وغيره والحداثيين.

٣- الاتجاه التوفيقي :يرى أتباعه التوفيق بين الثقافتين الإسلامية والغربية، وفي حال حدوث تعارض، يرون أنّه لابد من تقريب بعض مبادئ الاسلام التي تتعارض مع حضارة الغرب وثقافته، وتطوير تلك المبادئ حتى تواكب حضارة الغرب، مع الميل إلى تبني الثقافة الغربية، والبحث عن الأدلة المؤيدة لذلك من أقوال العلماء والمفكرين المسلمين بحجة أنّ مصالح المسلمين تتطلب هذا التطوير، وفي هذا مسخ للإسلام وتشريعاته، وتشويش على المسلمين مع تفريق وحدتهم.

٤-الاتجاه المعتدل :يرى أتباعه أن يحتفظ المسلمون بإسلامهم وثقافتهم المتمثلة في الكتاب والسنة، مع الوقوف عند حدود الفكر الإسلامي الأصيل، مع الإفادة من خير ما أفادت منه المدنية الغربية في شتى المجالات من العلوم التجريبية، فيرون أخذ المناسب من الحضارة الغربية، وترك ما لا يناسب منها؛ لأنّ الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من كل أحد ما لم تعارض ثقافته.

وهذا الاتجاه الأخير هو الاتجاه الصحيح الذي يحاول الوقوف في وجه تحديات الثقافة الغربية مع الاستفادة من المفيد فيها.

هذه المواقف الأربعة بتوجهاتها المختلفة، أثّرت في المجتمع الإسلامي بصورة لا يمكن تجاهلها؛ لأنها أدت إلى اضطرابات سياسية، وتصدُّعات اجتماعية، وصراعات داخلية، أنهكت الأمة، ومزقت شملها، وأحدثت الفرقة بين صفوفها، مما ساعد كثيرًا على تغلغل الفكر والثقافة الغربية بطريقة قوّت حدة التناقض في الحياة العمليّة والمعنوية، نتيجة للتناقض الحاد بين المواقف والأفكار المحيطة بالفرد المسلم، الذي وقع أسيرًا لها، والوهن العقدي، والفوضى الفكرية، والتخبط السلوكي.

١٢ الحوار بين الحضارات:

أولاً: الإسلام دين الحوار:

الحوار منهج قرآني ، فقد كلم الله ملائكته واستمع منهم ، وكذلك رسله ، وحتى مع إبليس ، والقرآن مليء بمحاورات الرسل مع أقوامهم .

وحضارتنا الإسلامية على مدى التاريخ هي حضارة الحوار فقد حاور علماء المسلمين كافة أهل الملل والنحل بالمنهج القرآني والدعوة إلى الخير .

ثانيًا: أهم أهداف الحوار في الإسلام :

١ - الدعوة إلى الإسلام, وعبادة الله وحده لا شريك له.
٢ -إبراز محاسن الإسلام والرد على شبهات أعدائه.
٣ -تحقيق وظيفة الإنسان في الأرض وهي الخلافة وعمارة الأرض .
٤ -تبادل العلوم النافعة ، والتعاون على الخير .

ثالثا: أهداف باطلة للحوار:

١ - موالاة الكفار ومودتهم من دون المؤمنين، فقد جاءت النصوص القطعية في النهي عن ذلك، قال الله تبارك وتعالى :﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ [آل عمران: ٢٨].
٢ - التنازل عن شيء من ثوابتنا العقدية أو الشرعية.
٣ -المشاركة في الدعوات المغرضة لوحدة الأديان التي تساوي الإسلام بغيره وخلط الحق بالباطل.
٤ - مشاركة الكفار في باطلهم، وقد نهى الله نبيه عن ذلك فقال سبحانه :﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ *لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ *وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ *وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ *وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ *لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ١ - ٦].

رابعا: آداب الحوار:

من أهم آداب الحوار:

١- حسن القصد من الحوار :وذلك بالإخلاص لله والرغبة في طلب الحق، قال تعالى :﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾.[البينة: ٥]

٢- العلم :فلا حوار بلا علم، والمُحَاوِرُ الجاهل يفسد أكثر مما يصلح، وقد ذم الله سبحانه وتعالى المجادل بغير علم ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ [الحج: ٨]. فالمُحَاوِر المسلم داع إلى الله يحب أن تكون دعوته بعلم وبصيرة كما قال سبحانه :﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾]يوسف: ١٠٨[.

٣- التزام القول الحسن، وتجنب منهج التحدي والإفحام :حيث أن أهم ما يتوجه إليه المُحَاوِر التزام الحسنى في القول والمجادلة، ففي محكم التنزيل :﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾]الإسراء: ٥٣[، ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾]النحل: ١٢٥[.[10] وعلينا أن ننأى بأنفسنا عن أسلوب الطعن والتجريح والهزء والسخرية، وألوان الاحتقار والإثارة والاستفزاز.

٤- التواضع واللين والرفق من المُحَاوِر وحسن الاستماع وعدم المقاطعة والعناية بما يقوله المُحَاوِر :فهو أدعى للوصول إلى الحقيقة واستمرار الحوار، وهذا ما علمناه القرآن، فقد أمر الله نبيه موسى وأخاه هارون عليهما السلام عند مخاطبة فرعون الذي طغى وتجبر وادعى الألوهية والربوبية، فقال سبحانه : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه: ٤٤].

٥- الحلم والصبر: فالمُحَاوِر يجب أن يكون حليماً صبوراً، فلا يغضب لأتفه سبب، فإن ذلك يؤدي إلى النفرة منه والابتعاد عنه، والغضب لا يوصل إلى إقناع الخصم وهدايته، وإنما يكون ذلك بالحلم والصبر، والحلم من صفات المؤمنين قال تعالى :﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وعندما قال رجل للنبي – صلى الله عليه وسلم – أوصني، قال» : لا تغضب[11] « وكررها مراراً.

٦- العدل والإنصاف؛ يجب على المحاور أن يكون منصفاً فلا يرد حقاً، بل عليه أن يبدي إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة والمعلومات الجديدة التي يوردها محاوره وهذا الإنصاف له أثره العظيم لقبول الحق، كما تضفي على المحاور روح الموضوعية.

والتعصب وعدم قبول الحق من الصفات الذميمة في كتاب الله فإن الله أمرنا بالإنصاف حتى مع الأعداء فقال :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [المائدة: ٨]،

١٣ خصائص الثقافة الإسلامية

الخصائص العامة للإسلام:

المراد هنا :الميزات والصفات التي ينفرد بها دين الإسلام عن غيره من الديانات والمناهج الأخرى.

وأما الإسلام : فهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين وأخبر سبحانه أنه لا يقبل من أحدٍ سواه، فقال جلَّ وعلا :﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال سبحانه :﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد عرفه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام وفيه أركان الإسلام حيث سأله فقالَ: يَا مُحَمّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ؟. فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله وَأَنّ مُحَمّداً رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، وَتُقِيمَ الصّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجّ الْبَيْتَ، إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً)) قَالَ: صَدَقْتَ

ولا شكَّ أن دين الإسلام هو الدين الحق المنزل من عند الله تعالى، وهو منهج الحياة المتكامل القائم على ما جاء في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وما ثبت من سنة نبي الهدى صلى الله عليه وسلم، وذلك خلافاً لما سواه من المناهج والأديان الأخرى، ولعل عرضًا عامًّا لتلكم المناهج القائمة بين الناس على هذه البسيطة يجلي الصورة ويوضحها.

إن النظم القائمة كلها – عدا دين الله تعالى الإسلام – لا تخرج عن أحد هذه الأصناف الثلاثة:

الأول : منهج ديني محرَّف، فهو إلهيٌّ في الأصل، وله كتاب سماوي من عند الله عز وجل، ولكن دخله التحريف والتبديل، والحذف والزيادة، فاختلط فيه كلام الله تعالى بكلام البشر وأهوائهم، ومثاله: اليهودية والنصرانية>

الثاني : منهج ديني بشري، فهو ديني لأن فيه القيام بأداء طقوس تعبدٍ وتألهٍ يؤديها الإنسان لمألوه أو لعدد من الآلهة؛ من بشر وحجر ومال وهوى وشهوة وغير ذلك، وقد لا يكون فيها صلاح حال هذا الانسان ولا تنظيم حياته؛ وإنما طقوس غامضة أو مرعبة.

وهو دين بشري لأنه من صنع البشر، فليس له أصل من عند الله تعالى، ومن أمثلة ذلك: الهندوسية، البوذية، عبادة الأصنام، وغيرها.

الثالث: منهج مدني بشري خالص. فهو مدني لأنه نظام حياة دنيوية؛ يُعنى بتنظيم حياة الإنسان الدنيوية وتحقيق مصالحه وفق ضوابط وقيود دنيوية، وبشري لأن مصدره البشر، أفرادًا أو جماعات، فهو نتاج تفكير الإنسان واجتهاده وتنظيره، ومن أمثلة ذلك: العلمانية، Secularism الشيوعية ، الرأسمالية، الوجودية وغيرها كثير .

هذه هي المناهج القائمة بين يدي البشر على وجه الأرض، ويبقى الإسلام وحده بصفائه ونقائه وسموه وكماله من بين سائر المناهج والأديان هو القادر على البقاء في خضم الصراعات الثقافية والفكرية والحضارية.

الخصيصة الأولى:

دين إلهي:

الإسلام دين الله عزَّ وجلَّ الذي ارتضاه للعالمين، وهذه الخصيصة أعظم خصائصه وأُسُّها؛ فما سواها من الخصائص نتيجة لها وثمرة من ثمارها.

دين أنزله الله تعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وتكفل بحفظه ونصره وإظهاره على الدين كله.

دين من عند الله تعالى مصدره القرآن العظيم والسنة المطهرة الصحيحة، القرآن كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وقد حفظه الله تعالى :﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

والسنة المصدر الثاني وحي من عند الله تعالى كما قال جل وعلا عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم :﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣، ٤].

وبيَّن الله تعالى مهمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهي إبلاغ دين الله إلى الناس، فقال جل وعلا :﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ ﴾ [العنكبوت: ١٨، النور: ٥٤].

وقال جل وعلا :﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ ﴾ [الشورى: ٤٨] فهو صلى الله عليه وسلم واسطة في إبلاغ شريعة الله تعالى من الله سبحانه إلى خلقه وبيانها لهم.

وجانب آخر من إلهية هذا الدين؛ فكما أن مصدره من عند الله تعالى فكذلك غايته وهدفه تحقيق مرضاة الله عزَّ وجلَّ والقيام بعبادته، فهذه الغاية التي من أجلها خلق الله الجن والإنس، كما قال سبحانه :﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ *مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ *إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

الخصيصة الثانية:

دين شامل:

شرع الله سبحانه وتعالى للأمة دينًا شاملاً في أحكامه وتشريعاته للثقلين من الجن والإنس، ولكل تصرفاتهم وعلاقاتهم، حيثما كانوا؛ فوق أي أرض وتحت كل سماء. يقول المولى جل وعلا :﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩]، فهو دين ودولة، وهو عقيدة وعبادة، وهو حكم وقضاء، وشريعة وقانون، ومصحف وسيف، وجهاد ودعوة، وسياسة واقتصاد، وعلم وخلق وتوجيه.

وتتضح شمولية الإسلام في صور منها:

١- أنه دينٌ شامل للثقلين: الجن والإنس. فأما الإنس فظاهر في نصوص القرآن العظيم، يقول الله جل وعلا :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ويقول سبحانه :﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٢- أنه دين شاملٌ للزمان كله؛ من بعثة نبينا محمد إلى قيام الساعة.

٣- دينٌ شاملٌ للمكان؛ فليس خاصًّا بإقليم دون آخر، ولا بأمة دون أخرى؛ شمولية مكانية؛ يطالب بهذا الدين كل البشر في أي مكان ومن أي أمة، ويتأكد بها أن المسلم مطالب بتنفيذ أحكام دين الله تعالى في كل مكان.

٤- دينٌ شاملٌ للإنسان في مراحل حياته المختلفة، وفي علاقاته المتعددة، يوجهها إلى ما فيه صلاحه ورفعته وحفظه وهدايته.

٥- دين شامل في توجيه نظر الإنسان إلى الدنيا والآخرة فهما داران متكاملتان، للإنسان في كلٍّ منهما نصيب، فالدنيا مزرعة للآخرة، يزرع فيها ما يرغب جنيه في الآخرة. يقول الله جل وعلا :﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾]القصص: ٧٧[.

الخصيصة الثالثة:

دين الفطرة:

والمراد بالفطرة الابتداء والاختراع، والمعنى في قوله: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ) أنه يولد على نوع من الجِبِلَّة والطبع المتهيئ لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، وإنما يعدل عنه من يعدل؛ لآفةٍ من آفات البشر والتقليد

فالإسلام هو الدين الذي جبل الله الناسَ عليه وهيأهم لقبوله والعمل به. فلا يتعارض مع طبيعة الإنسان ولا يتضاد مع رغباته؛ بل يتفق معها ويوجهها ويرشدها إلى الأصح والأسلم، فلو تجرد الإنسان من الهوى والعناد، لاعترف بدين الإسلام وأنه الدين الحق .. ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾]الروم: ٣٠[.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ. كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ.هَلْ تُحِسّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟). ثُمّ يَقُولُ أَبُوهُرَيْرَةَ: وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ :﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾. [19]

فالله جل وعلا خلق الناس حنفاء كلهم، ثم اجتالتهم شياطين الجن والإنس فصرفتهم عن

الحق والهدى والفطرة السليمة، ففي حديث عياض ابن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته: ((أَلاَ إِنّ رَبّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمّا عَلّمَنِي يَوْمِي هَذَا..وفيه: وَإِنّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلّهُمْ، وَإِنّهُمْ أَتَتْهُمُ الشّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَاناً، وَإِنّ الله نَظَرَ إِلَىَ أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ؛ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إلاّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ))... الحديث.

[redacted]

الخصيصة الرابعة:

الوسطية:

وهي العدل والفضل والخيرية والتوازن، فالإسلام دين الوسط في كل الأمور عقيدة وشريعة وأخلاقًا، وهو وسط بين غلو الديانات الأخرى وتفريطها، وهو وسط يجمع بين مطالب الروح والجسد والفرد والمجتمع، فلا يُغَلِّب جانبًا على آخر إلا بما يتناسب مع صلاح الروح وسلامة الجسد وفلاح الفرد وإصلاح المجتمع.

وكما يأمر بالعبادة والعمل للدار الآخرة يوجّه إلى السعي في طلب الرزق والمعاش في الدنيا، ويعتبر ذلك عبادة ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧].

إن أمة الإسلام أمة وسط، شهد لها بذلك خالقها سبحانه وتعالى ورتب على ذلك مكانتها ومنزلتها ودورها في هذا الكون، وبين الأمم :﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فقوله سبحانه)وسطًا (أي عدلاً، ووسط الشيء أو أوسطه بمعنى أفضله وأعدله وخياره .[21]يقول الإمام ابن جرير رحمه الله تعالى) :إنما وصفهم الله – تعالى ذكره – بأنهم وسط لتوسطهم في الدين.[22](

ونماذج وسطية الإسلام كثيرة، وليس المجال لذكرها ولكن نعرض لبعض الصور التي تدل على شيء من ذلك:

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا، كأنهم تقالُّوها فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أُصلي الليل أبدًا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: (أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي).[23]

٢- ورأى النبي صلى الله عليه وسلم حبلاً ممدودًا بين ساريتين فسأل عنه، فأخبر أنه لزينب تتمسك به إذا كسلت عن الصلاة، فأمر صلى الله عليه وسلم بإزالته وقال: (لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ).[24]

٣- وحديث عبد الله بن عمرو [25]رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: (يَا عَبْدَ اللهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟) قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: (فَلاَ تَفْعَلْ؛ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا).

وحينما نذكر وسطية الإسلام من خلال هذه الأحاديث والمواقف وغيرها، يجب علينا ألاَّ

ننسى ما يقابل ذلك وهو التفريط، فكما ذمَّ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الغلو، وطلب الزيادة في العمل تعبدًا لله عزَّ وجلَّ، فإن ذلك يعني التنبه للمقابل وهو الوقوع في التفريط والترك لشيء مما شرع الله تعالى؛ كترك الفرائض ومواقعة الذنوب والاستهانة بالمعاصي: فكلا طرفي الأمر خطأ ومخالف لدين الله تعالى؛ الزيادة غلو في دين الله تعالى، والترك تقصير في حق المولى جل وعلا.

وشريعة الله تعالى هي الوسط القائم على أداء ما شرع الله تعالى من غير تفريط ولا إفراط.

الخصيصة الخامسة:

دين العلم:

للعلم في الإسلام مكانة سامية، ويكفي دلالة على ذلك أن أول كلمة نزلت من عند الله تعالى على نبي الهدى صلى الله عليه وسلم، هي قوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ ﴾.

دين يحترم العلم ويجلُّ العلماء، ويرى أن العلم طريق للخشية والخضوع والانقياد لأمر الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨].

دين يرفع من شأن العلم: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ٩].

وآيات القرآن العظيم توجِّه إلى التفكر والتدبر والنظر، وإعمال العقل واللُّبِ في الوصول إلى الحق والصواب.

ولهذا ختم الله تعالى كثيرًا من الآيات بالأمر بذلك والحث عليه، كما في قوله سبحانه: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾، ﴿ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾، ﴿ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾، ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ

الأَلْبَابِ ﴾، ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾، ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، ﴿ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

وقد أرشد الله تعالى في القرآن العظيم إلى أن الكون بحقائقه يتفق مع ما جاء في القرآن العظيم، وأن العلم الصادق يزيد الإيمان في النفس، فقال جل وعلا :﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

هذا هو العلم وهذا شيء من موقف الإسلام منه، مطلب العلم المادي الذي تحتاجه الأمة وتستغني به عن سواها من الأمم الكافرة واجب من الواجبات، وذلك لما يترتب عليه من استقلال الأمة وغلبتها وتمكنها من الصناعة والإنتاج.

والإنسان مهما بلغ في درجات العلم المادي البحت فإنه لا يزال قاصرًا عن أن يحيط علمًا بكل شيء، فالله تعالى يخبر عن ذلك فيقول :﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقد أثر ذلك تأثيرًا حضاريًّا قويًّا في الأمة، وكان ذلك بدافع من الدين الإسلامي الذي شجع العلم، وقدر العلماء ودعا إلى التأمل والتفكر والتجريب، وأوروبا مدينة لهم بذلك.[26])

ما أدري عن ذا المعلومة..

الخصيصة السادسة:

دين الأخلاق:

الإسلام دين الأخلاق، فما من حُكم شرعي في دين الإسلام إلا ويلبّي مقصدًا خُلُقيًّا حميدًا للإنسان، ولهذا كان قول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: (إِنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالِحَ الأَخْلاقِ)[29]، وقوله: (إنَّ مِن أحَبِّكُمْ إليَّ وأقْرَبِكُمْ مِنّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيامَةِ؛ أحاسِنُكُمْ أخْلاقاً، وَإنَّ أبْغَضَكُمْ إليَّ وأبْعَدَكُمْ مِنّي يَوْمَ القِيامَةِ؛ الثَّرْثارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ.قالوا:يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدّقون، فما المتفيهقون؟ قال: المُتَكَبِّرُون) الثرثرة والتشدق والتفيهق صفات ذميمة لما تتضمنه من معنى العجب بالنفس والرد للحق والتعالي على الخلق.

وفي الحديث:(إِنّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقاً)

ثم إن لازم من يتمسك بالإسلام أن يكون حسن السلوك، سامي الخلق، شريف المعاملة، ولقد كان في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، وسلف الأمة، أعظم مثال على ذلك المجتمع الأخلاقي المثالي.

والله جل وعلا حين أثنى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، كان ثناؤه سبحانه بأبلغ وأرفع عبارة في قوله جل وعلا :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾]القلم: ٤.[

وحين يقرأ المسلم القرآن العظيم أو يتتبع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد أن الله تعالى يؤكد على صفات أهل الإيمان، بأنها الصفات الفاضلة، ويفصّل في ذكرها تفصيلاً يُبين سموَّ أخلاق هذا الدين ومقاصده، في صبغ الناس بهذه الصبغة الأخلاقية الإلهية السامية، يقول جل جلاله :﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ *الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ *إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾]المؤمنون: ١ – ٦.[

معنى العقيدة في اللغة والاصطلاح

معنى العقيدة لغة:

مادة "عقد" تدور بين عدة معان، منها: الربط والشد بقوة. يقال: عقد الحبل، يعقده عقدا، إذا ربطه وشده بقوة.

معنى العقيدة اصطلاحا:

♦ ما عقد الإنسان قلبه عليه عقدا جازما.

الرابط بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي:

الارتباط بينهما ظاهر؛ لأن هذا الذي جزم بالشيء، وصمم عليه، قد ألزمه قلبه، وربطه عليه، وشده بقوة، بحيث لا يتفلت منه أبدا.(١)

مهم

معنى التوحيد:

التوحيد لغة: مصدر: وحد يوحد توحيدا؛ إذا أفرده وجعله واحدا. وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات؛ نفي الحكم عما سوى الموحد، وإثباته له. فنقول مثلا في توحيد الألوهية: لا يتم للإنسان التوحيد، حتى يشهد أن لا إله إلا الله، فينفي الألوهية عما سوى الله، ويثبتها لله وحده.

اصطلاحا: إفراد الله بما تفرد به، وبما أمر أن يفرد به؛ فنفرده في ملكه وأفعاله فلا رب سواه ولا شريك له، ونفرده في ألوهيته فلا يستحق العبادة إلا هو، ونفرده في أسمائه وصفاته فلا مثيل له في كماله ولا نظير له(٢)

العقيدة الإسلامية

- هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره

وهي التي بعث الله بها رسله وأنزل كتبه وأوجبها على جميع خلقه الجن والإنس؛ كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ{٥٦}مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ } [الذاريات٥٧]

---

(١) المصدر السابق نفسه

(٢) المفيد في مهمات التوحيد لعبد القادر محمد عطا ص/١٠

{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً} [الإسراء ٢٣]

وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} النحل ٣٦

فكل الرسل جاءوا بالدعوة إلى هذه العقيدة، وكل الكتب الإلهية نزلت لبيانها وبيان ما يبطلها ويناقضها أو ينقصها، وكل المكلفين من الخلق أمروا بها، وما كان هذا شأنه وأهميته فإنه لجدير بالعناية والبحث والتعرف عليه قبل كل شيء، خصوصا وأن هذه العقيدة تتوقف عليها سعادة البشرية في الدنيا والآخرة.

فإن كانت هذه العقيدة موافقة لما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه؛ فهي عقيدة صحيحة سليمة تحصل بها النجاة من عذاب الله والسعادة في الدنيا والآخرة.

وإن كانت هذه العقيدة مخالفة لما أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه؛ فهي عقيدة توجب لأصحابها العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة.

وجوب معرفة العقيدة الإسلامية:

الواجب على كل مسلم أن يتعلم العقيدة الإسلامية؛ ليعرف معناها وما تقوم عليه، ثم يعرف ما يضادها ويبطلها أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر: قال الله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ} محمد ١٩

قال الإمام البخاري رحمه الله: "باب العلم قبل القول والعمل"، واستشهد بهذه الآية الكريمة[١]

قال الحافظ ابن حجر: قَالَ ابن الْمُنِيرِ أَرَادَ بِهِ أَنَّ الْعِلْمَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ فَلَا يُعْتَبَرَانِ إِلَّا بِهِ فَهُوَ مُتَقَدِّمٌ عَلَيْهِمَا لِأَنَّهُ مُصَحِّحٌ لِلنِّيَّةِ الْمُصَحِّحَةِ لِلْعَمَلِ ..."اهـ.[٢]

والمتأمل للقرآن الكريم؛ يجد فيه كثيرا من الآيات والسور تهتم بأمر العقيدة، بل إن السور المكية تكاد تكون مختصة ببيان العقيدة الإسلامية ورد الشبهات الموجهة إليها.

الدعوة إلى العقيدة الإسلامية

يجب على المسلم بعدما يمن الله عليه بمعرفة هذه العقيدة والتمسك بها أن يدعو إليها

---

(١) صحيح البخاري ٣٧/١

(٢) فتح الباري ١٦٠/١

الناس إليها .

والدعوة إلى العقيدة الإسلامية هي فاتحة دعوة الرسل جميعا؛ فلم يكونوا يبدءون بشيء قبلها؛ كما قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ}النحل٣٦

وكل رسول يقول لقومه أول ما يدعوهم: { اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ}هود،٥٠ كما قالها نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وسائر الرسل عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

فلابد من دعوة الناس إليها بالحكمة والموعظة الحسنة؛ كما هو سبيل المرسلين وأتباعهم

روى مسلم في صحيحة من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ مُعَاذًا، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ pقَالَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»(١)

فمن هذا الحديث الشريف، ومن استقراء دعوة الرسل في القرآن، ومن استقراء سيرة الرسول ؛ يؤخذ منهج الدعوة إلى الله، وأن أول ما يدعى الناس إليه هو العقيدة المتمثلة بعبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه؛ كما هو معنى لا إله إلا الله.

وقد مكث النبي في مكة ثلاث عشرة سنة بعد البعثة يدعو الناس إلى تصحيح العقيدة بعبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام قبل أن يأمر الناس بالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وترك المحرمات من الربا والزنا والخمر والميسر. (٢)

فذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو:

- فإنه إما أن يكون طالبا للحق راغبا فيه محبا له مؤثرا له على غيره إذا عرفه فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة ولا جدال.

---

(١) صحيح مسلم ١/٥٠

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص/١٨

- وإما أن يكون معرضا مشتغلا بضد الحق ولكن لو عرفه آثره واتبعه فهذا يحتاج مع الحكمة إلى الموعظة بالترغيب والترهيب.
- وإما أن يكون معانداً معارضاً فهذا يجادل بالتي هي أحسن فإن رجع إلى الحق وإلا انتقل معه من الجدال إلى الجلاد إن أمكن ....انتهى(١)

أصول العقيدة الإسلامية:

أصول العقيدة الإسلامية التي هي عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة وهي ستة أصول:

- الإيمان بالله عز وجل
- الإيمان بالملائكة
- الإيمان بالكتب
- الإيمان بالرسل
- الإيمان باليوم الآخر
- الإيمان بالقضاء والقدر

وسوف نتعرض للحديث المختصر عن هذه الأصول الستة مستقاة من كتاب نبذة في العقيدة الإسلامية لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – .

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ٤/١٢٧٦ وأنظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص/٢٠

الدين الإسلامي

الدين الإسلامي : هو الدين الذي بعثَ الله به محمدًا ﷺ، وختم الله به الأديان ، وأكمله لعباده ، وأتمّ به عليهم النعمة ، ورضيه لهم دينًا ، فلا يقبل من أحد دينًا سواه ، قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب : ٤٠] .

وقال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة :٣] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ [سورة آل عمران : ١٩].

وقال تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران (٨٥)].

وقد فرض الله تعالى على جميع الناس أن يدينوا لله تعالى به فقال مخاطبًا رسول الله ﷺ : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة الأعراف :١٥٨] .

وفي صحيح مسلم : عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : " والذي نفسُ محمد بيده ، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمّة: يهودي ، ولا نصراني ، ثم يموتُ ، ولم يؤمنْ بالذي أرسلتُ به؛ إلا كان من أصحاب النار"[(١)].

والإيمان به : تصديق ما جاء به مع القبول ، والإذعان لا مجرد التصديق ، ولهذا لم يكن أبو طالب مؤمنًا بالرسول ﷺ مع تصديقه لما جاء به ، وشهادته بأنه من خير الأديان .

والدين الإسلامي : متضمن لجميع المصالح التي تضمنتها الأديان السابقة ، متميز عليها بكونه صالحًا لكل زمان ، ومكان ، وأمّة ، قال الله تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [سورة المائدة : ٤٨] .

ومعنى كونه صالحًا لكل زمان ، ومكان ، وأمّة : أنّ التمسك به لا ينافي مصالح الأمة في أي زمان ، أو مكان ، بل هو صلاحها ، وليس معنى ذلك أنّه خاضع لكل زمان ، ومكان ، وأمّة كما يريده بعض الناس.

(١) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ ، رقم (٣٨٤).

والدين الإسلامي: هو دين الحق الذي ضمن الله – تعالى – لمن تمسَّك به حق التمسك أن ينصره، ويظهره على من سواه، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة الصف: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة النور:٥٥].

والدين الإسلاميُّ: عقيدة، وشريعة، فهو كامل في عقيدته، وشرائعه:

١- يأمرُ بتوحيد الله تعالى، وينهى عن الشرك.

٢- يأمرُ بالصدق، وينهى عن الكذب.

٣- يأمرُ بالعدل، وينهى عن الجور، والعدل هو المساواة بين المتماثلات، والتفريق بين المختلفات، وليس العدل المساواة المطلقة كما ينطق به بعض الناس حين يقول: دين الإسلام دين المساواة، ويطلق، فإن المساواة بين المختلفات جور لا يأتي به الإسلام، ولا يحمد فاعله.

٤- يأمرُ بالأمانة، وينهى عن الخيانة.

٥- يأمرُ بالوفاء، وينهى عن الغدر.

٦- يأمرُ برِّ الوالدين ، وينهى عن العقوق .

٧- يأمرُ بصلة الأرحام وهم الأقارب ، وينهى عن القطيعة.

٨- يأمرُ بحسن الجوار ، وينهى عن سَيِّئه .

وعموم القول : أنّ (الإسلام) يأمر بكل خلق فاضل ، وينهى عن كل خلق سافل .

ويأمر بكل عمل صالح ، وينهى عن كل عمل سيء.

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل : ٩٠] .

أركان الإسلام

أركان الإسلام : أسسه التي ينبني عليها ، وهي خمسة : مذكورة فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : "بُنِيَ الإسلام على خمسة : على أنْ يُوَحَّدَ اللهُ – وفي رواية على خمس – : شهادةِ أنْ لا إله إلا الله ، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله ، وإقامِ الصلاة ، وإيتاءِ الزكاة ، وصيامِ رمضان ،

والحجّ " فقال رجل : الحج ، و صيام رمضان ، قال : "لا ، صيام رمضان ، والحج " ، هكذا سمعته من رسول الله ﷺ[١] .

١ - أما شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله فهي : الاعتقاد الجازم المعبَّر عنه باللسان بهذه الشهادة ، كأنه بجزمه في ذلك مشاهد له ، وإنما جُعلت هذه الشهادة ركنًا واحدًا مع تعدد المشهود به :

إما : لأن الرسول ﷺ مبلغ عن الله تعالى ، فالشهادة له ﷺ بالعبودية والرسالة من تمام شهادة أن لا إله إلا الله .

وإما: لأن هاتين الشهادتين أساس صحة الأعمال وقبولها ، إذ لا صحة لعمل ، ولا قبول ، إلا بالإخلاص لله - تعالى - والمتابعة لرسوله ﷺ فبالإخلاص لله تتحقق شهادة : أن لا إله إلا الله ، وبالمتابعة لرسول الله تتحقق شهادة : أنَّ محمدًا عبده ورسوله .

ومن ثمرات هذه الشهادة العظيمة : تحريرُ القلب والنفس من الرق للمخلوقين ، و من الاتباع لغير المرسلين .

٢- وأما إقام الصلاة : فهو التعبد لله- تعالى- بفعلها على وجه الاستقامة ، و التمام في أوقاتها ، وهيئاتها .

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب الإيمان وقول النبي ﷺ (بني الإسلام على خمس) ، رقم (٨) ، ورواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ، رقم (١١١) .

ومن ثمراته : انشراح الصدر ، وقرة العين ، والنهي عن الفحشاء و المنكر .

٣- وأما إيتاء الزكاة : فهو التعبد لله- تعالى- ببذل القدر الواجب في الأموال الزكوية المستحقة .

ومن ثمراته : تطهيرُ النفس من الخلق الرذيل (البخل) ، وسد حاجة الإسلام و المسلمين .

٤- وأما صوم رمضان : فهو التعبد لله- تعالى- بالإمساك عن المفطرات في نهار رمضان .

ومن ثمراته : ترويض النفس على ترك المحبوبات ؛ طلبًا لمرضاة الله عزَّ وجلَّ .

٥- وأما حج البيت : فهو التعبد لله- تعالى - بقصد البيت الحرام ؛ للقيام بشعائر الحج .

ومن ثمراته : ترويض النفس على بذل المجهود المالي ، والبدني في طاعة الله- تعالى - ولهذا كان الحج نوعًا من الجهاد في سبيل الله - تعالى- .

وهذه الثمرات التي ذكرناها لهذه الأسس ، وما لم نذكره تجعلُ من الأمَّةِ أمَّةً إسلاميَّة طاهرة نقيَّة ، تدين لله دين الحق ، وتعاملُ الخلق بالعدل والصدق ؛ لأن ما سواها من شرائع الإسلام يصلح بصلاح هذه الأسس ، وتصلحُ أحوال الأمة

بصلاح أمر دينها ، ويفوتُها من صلاح أحوالها بقدر ما فاتها من صلاح أمور دينها .

ومن أراد استبانة ذلك ؛ فليقرأ قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف : ٩٦-٩٩] ولينظر في تاريخ من سبق ؛ فإن التاريخ عبرة لأولي الألباب ، وبصيرة لمن لم يَحُلْ دون قلبه حجاب ، و الله المستعان .

* * *

أسس العقيدة الإسلامية

الدين الإسلامي : – كما سبق – عقيدة وشريعة ، وقد أشرنا إلى شيء من شرائعه ، وذكرنا أركانه التي تعتبر أساسًا لشرائعه .

أما **العقيدة الإسلامية** : فأسسها الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر : خيره ، وشره .

وقد دلَّ على هذه الأسس كتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ.

ففي كتاب الله – تعالى – يقول : ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧].

ويقول في القدر : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [سورة القمر : ٤٩ ، ٥٠].

وفي سنة رسول الله ﷺ يقول النبي ﷺ مجيبًا لجبريل حين سأله عن الإيمان:" الإيمان: أنْ تؤمنَ بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر: خيره وشره"(١) .

* * *

(١) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام و الإحسان ، رقم (٩٣) .

الإيمان بالله تعالى

فأما الإيمان بالله فيتضمَّنُ أربعة أمور :

الأمر الأول : الإيمان بوجود الله - تعالى - :

وقد دلَّ على وجوده - تعالى -: الفطرة ، والعقل ، والشرع ، والحس .

١- **أما دلالة الفطرة على وجوده** - سبحانه- : فإنَّ كل مخلوق قد فُطِرَ على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير ، أو تعليم ، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلاَّ من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها ؛ لقول النبي ﷺ : **"ما من مولود إلا و يولدُ على الفطرة ، فأبواهُ يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه"**[1] .

٢- **وأما دلالة العقل على وجود الله** - تعالى - فلأن هذه المخلوقات : سابقها ولاحقها ، لابد لها من خالق أوجدها ؛ إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها ؛ ولا يمكن أن توجد صدفة.

لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها ؛ لأن الشيء لا يخلقُ نفسه ؛ لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقًا ؟!

ولا يمكن أن توجد صدفة ؛ لأن كل حادث لابد له من محدث ، ولأن وجودها على هذا النظام البديع ، والتناسق

(١) رواه البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ، رقم (١٣١٩) .

المتآلف ، و الارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها ، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنعُ منعًا باتًّا أن يكون وجودها صدفة ، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظمًا حال بقائه وتطوره ؟!

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها ، ولا أن توجد صدفة ؛ تعيَّن أن يكون لها موجد هو الله رب العالمين .

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي ، و البرهان القطعي ، حيث قال : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [سورة الطور : ٣٥]. يعني : أنهم لم يُخْلَقُوا من غير خالق ، ولا هم الذين خلقُوا أنفسهم ؛ فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك و تعالى ، ولهذا لما سمع جبير بن مطعم ﵁ رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السموات وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [سورة الطور : ٣٥-٣٧].

مدري

وكان جبير يومئذٍ مشركًا قال : (كاد قلبي أن يطير ، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي)[١] .

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك : فإنه لو حدَّثك شخص عن قصرٍ مشيَّد ، أحاطتْ به الحدائق ، وجرت بينها الأنهار ، ومُلِئ بالفرش والأسِرَّة ، وزُيِّن بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته ، وقال لك : إنَّ هذا القصر وما فيه من كمال قد أوْجد نفسه ، أو وُجِد هكذا صدفة بدون مُوجد ؛ لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثهُ سفهًا من القول ، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع: بأرضه ، وسمائه ، وأفلاكه ، وأحواله ، ونظامه البديع الباهر ، قد أوجَدَ نفسه ، أو وُجد صدفة بدون موجد ؟!

٣- وأما دلالة الشرع على وجود الله - تعالى- : فلأن الكتب السماوية كُلَّها تنطقُ بذلك ، وما جاءت به من الأحكام العادلة المتضمنة لمصالح الخلق ؛ دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه ، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها ؛ دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به .

(١) رواه – البخاري – مفرقًا ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الطور ، رقم (٤٥٧٣) .

٤- **وأما أدلة الحس على وجود الله؛ فمن وجهين:**

أحدهما : أننا نسمعُ ونشاهدُ من إجابة الداعين ، وغوث المكروبين ، ما يدلُ دلالة قاطعة على وجوده تعالى ، قال الله سبحانه: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٦] ، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال : ٩].

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال : إنَّ أعرابيًّا دخل يوم الجمعة - والنبي ﷺ يخطبُ - فقال : يا رسول الله ، هلك المال ، وجاعَ العيال ، فادع الله لنا ؛ فرفع يديه ودعا ؛ فثار السحاب أمثال الجبال ، فلم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطر يتحادر على لحيته . - وفي الجمعة الثانية ، قام ذلك الأعرابي ، أو غيره فقال : يا رسول الله - تهدم البناء ، وغرق المال ، فادع الله لنا ؛ فرفع يديه ، وقال : **"اللهم حوَالَيْنا ولا عَلَيْنَا ، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت"**[(١)] .

وما زالت إجابة الداعين أمرًا مشهودًا إلى يومنا هذا ؛ لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى ، وأتى بشرائط الإجابة .

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة ، رقم : (٨٩١) .

الوجه الثاني : أنَّ آيات الأنبياء التي تسمَّى المعجزات ويشاهدها الناس ، أو يسمعون بها ، برهان قاطع على وجود مرسلهم ، وهو الله تعالى؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر ، يجريها الله تعالى ؛ تأييدًا لرسله ، ونصرًا لهم .

مثال ذلك آية موسى ﷺ حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر ، فضربه ؛ فانفلَق اثنى عشر طريقًا يابسًا ، والماء بينها كالجبال ، قال الله تعالى : ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الشعراء : ٦٣].

ومثال ثان: آية عيسى ﷺ حيث كان يحيي الموتى ، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله ، قال الله تعالى عنه : ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ﴾ [سورة آل عمران : ٤٩] ، وقال : ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي﴾ [سورة المائدة : ١١٠] .

ومثال ثالث : لمحمد ﷺ حين طلبت منه قريش آية ، فأشار إلى القمر ؛ فانفلق فرقتين ، فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [سورة القمر : ١-٢] .

فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى ؛ تأييدًا لرسله ، ونصرًا لهم ، تدلُ دلالة قطعية على وجوده تعالى.

الأمر الثاني مما يتضمنه الإيمان بالله : الإيمـان بربوبيَّتـه أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين .

والرب : من له الخلق ، والملك، و الأمـر ، فـلا خـالق إلا الله ، ولا مالك إلا هو، و لا أمر إلا له ، قـال تعـالى: ﴿أَلاَ لَـهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف : ٥٤] وقـال :﴿ ذَلِكُـمُ اللَّـهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْـكُ وَالَّـذِينَ تَـدْعُونَ مِـن دُونِـهِ مَـا يَمْلِكُـونَ مِـن قِطْمِيرٍ﴾ [سـورة فاطـر : ١٣].

ولم يعلــم أن أحـــدًا مـــن الخلـــق أنكـــر ربوبيـــة الله سبحانه ، إلا أن يكون مكابرًا غير معتقد بما يقول، كما حـصل من فرعون ، حين قال لقومه : ﴿أَنَـا رَبُّكُـمُ الأَعْلَـى﴾ [سـورة النازعات : ٢٤] وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرِي﴾ [سورة القصص : ٣٨] ، لكن ذلك ليس عن عقيـدة ، قـالَ الله تعـالى : ﴿وَجَحَـدُوا بِـهَا وَاسْـتَيْقَنَتْهَا أَنفُـسُهُمْ ظُلْمًـا وَعُلُوًّا﴾ [سورة النمل : ١٤] . وقـال موسـى لفرعـون ، فيمـا حكى الله عنه : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السموات وَالأَرْضِ بَـصَآئِرَ وَإِنِّـي لأَظُنُّـكَ يَـا فِرْعَـونُ مَثْبُـورًا﴾ [سـورة الإسراء : ١٠٢] ولهذا كان المشركون يقرُّون بربوبية الله تعالى ، مع إشـراكهم بـه في الألوهيـة ، قـال الله تعـالى : ﴿ قُـل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَـا إِن كُنـتُمْ تَعْلَمُـونَ * سَـيَقُولُونَ لِلَّـهِ قُـلْ أَفَـلاَ تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السموات السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ *

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [سورة المؤمنون : ٨٤-٨٩].

وقال الله تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الزخرف : ٩].

وقال سبحانه : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة الزخرف : ٨٧].

وأمر الله سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعي ، فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه بما يريد ، حسب ما تقتضيه حكمته ، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات ، وأحكام المعاملات ، حسبما تقتضيه حكمته ، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرّعًا في العبادات ، أو حاكمًا في المعاملات ؛ فقد أشرك به ، ولم يحقق الإيمان .

الأمر الثالث مما يتضمنه الإيمان بالله : **الإيمان بألوهيته** أي : بأنه وحده الإله الحق لا شريك له ، و(الإله) بمعنى : (المألوه) أي : (المعبود) حبًا وتعظيمًا .

قال تعالى : ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة : ١٦٣] ، وقال تعالى : ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران : ١٨] ،

وكل من اتخذ إلهًا مع الله ، يعبد من دونه ؛ فألوهيته باطلة ، قال الله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة الحج : ٦٢]. وتسميتها آلهة ؛ لا يعطيها حق الألوهية ، قال الله تعالى في (اللات والعزى ومناة) :

﴿إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [سورة النجم : ٢٣] .

وقال عن هود : إنه قال لقومه : ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [سورة الأعراف : ٧١] .

وقال عن يوسف – عليه السلام – أنه قال لصاحبي السجن : ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [سورة يوسف : ٣٩ ، ٤٠]

ولهذا كانت الرسل - عليهم الصلاة والسلام -يقولون لأقوامهم : ﴿اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف : ٥٩] ، ولكن أبى ذلك المشركون ، واتخذوا من دون الله آلهة ، يعبدونهم مع الله سبحانه و تعالى ، ويستنصرون بهم ، ويستغيثون .

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين :

الأول : أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية ، فهي مخلوقة لا تخلق، ولا تجلب نفعًا لعابديها ، ولا تدفع عنهم ضررًا ، ولا تملك لهم حياة ، ولا موتًا ، ولا يملكون شيئًا من السموات ، ولا يشاركون فيه.

قال الله تعالى : ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾ [سورة الفرقان :٣] .

وقال تعالى : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سورة سبأ : ٢٢ ، ٢٣] وقال تعالى : ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [سورة الأعراف : ١٩١ ، ١٩٢] .

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة ؛ فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه ، وأبطل الباطل .

والثاني : أن هؤلاء المشركين ، كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير

ولا يُجارُ عليه ، وهذا يستلزم أن يوحِّدوه بالألوهية ، كما وحَّدوه بالربوبية ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٢١ ، ٢٢] .

وقال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة الزخرف : ٨٧] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [سورة يونس : ٣١ ، ٣٢]

الأمر الرابع مما يتضمنه الإيمان بالله : الإيمان بأسمائه وصفاته :

أي : إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه ، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء ، و الصفات ، على الوجه اللائق به من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، و لا تمثيل ، قال الله تعالى : ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف : ١٨٠] ،

وقال تعالى : ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الروم : ٢٧] ، وقال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى : ١١]

وقد ضلّ في هذا الأمر طائفتان :

إحداهما : (المعطّلة) الذين أنكروا الأسماء و الصفات ، أو بعضها ، زاعمين أن إثباتها لله يستلزم التشبيه ، أي : تشبيه الله تعالى بخلقه ، وهذا الزعم باطل ؛ لوجوه ، منها :

الأول : أنه يستلزم لوازم باطلة ؛ كالتناقض في كلام الله سبحانه ، وذلك أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء ، والصفات ، ونفى أن يكون كمثله شيء ، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه ؛ لزم التناقض في كلام الله ، وتكذيب بعضه بعضًا .

الثاني : أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين ، فأنت ترى الشخصين يتفقان في أن كلاً منهما إنسان سميع ، بصير ، متكلم ، ولا يلزم من ذلك أن يتماثلا في المعاني الإنسانية ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، وترى الحيوانات لها أيدٍ ، وأرجلٌ ، وأعينٌ ، ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها ، وأرجلها ، وأعينها متماثلة .

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفقُ فيه من أسماء ، أو صفات ؛ فالتباين بين الخالق و المخلوق أبين وأعظم .

* اللي بالبرنامج م أتوقع تجي

الطائفة الثانية : (المشبهة) الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه ، زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص ؛ لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون ، وهذا الزعم باطل ؛ لوجوه منها :

الأول : أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر يبطله العقل ، والشرع ، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمرًا باطلاً .

الثاني : أن الله تعالى خاطبَ العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى ، أما الحقيقة والكُنْه الذي عليه ذلك المعنى ؛ فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته ، وصفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع ؛ فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى، (وهو إدراك الأصوات) لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة ؛ لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات ؛ فالتباين فيها بين الخالق و المخلوق أبين وأعظم .

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه ؛ فإن الاستواء من حيث أصل المعنى معلوم، لكن حقيقة الاستواء التي هو عليها غير معلومة لنا بالنسبة إلى استواء الله على عرشه ؛ لأن حقيقة الاستواء تتباين في حق المخلوق ، فليس الاستواء على كرسي مستقر كالاستواء على رحل بعير صعب نفور ،

فإذا تباينت في حق المخلوق ؛ فالتباين فيهما بين الخالق و المخلوق أبين و أعظم .

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة ، منها :

الأولى : تحقيق توحيد الله تعالى ، بحيث لا يتعلق بغيره رجاء ، ولا خوف ، ولا يعبد غيره .

الثانية : كمال محبة الله تعالى ، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا .

الثالثة : تحقيق عبادته بفعل ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه .

* * *

الإيمان بالملائكة

الملائكة : عالم غيبيٌّ ، مخلوقون ، عابدون لله تعالى ، وليس لهم من خصائص الربوبية و الألوهية شيء ، خلقهم الله تعالى من نور ، ومنحهم الانقياد التامَّ لأمره ، والقوة على تنفيذه . قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ ﴾ [سورة الأنبياء : ١٩ ، ٢٠]

وهم عدد كثير ، لا يحصيهم إلا الله تعالى ، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس ﷺ في قصة المعراج أن النبي ﷺ رُفع له البيت المعمور في السماء ، يُصلّي فيه كلَّ يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم[(١)] .

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور :

الأول : الإيمان بوجودهم .

الثاني : الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل) ومن لم نعلم أسماءهم نؤمن بهم إجمالاً .

---

(١) رواه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب المعراج رقم : (٣٦٧٤) ، ورواه مسلم ، كتاب الإيمان،باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ، رقم : (٤٠٩) .

الثالث : الإيمان بما علمنا من صفاتهم ، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خُلق عليها ، وله ستمائة جناح قد سدَّ الأفق .

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل ، كما حصل (لجبريل) حين أرسله الله تعالى إلى مريم فتمثَّل لها بشرًا سويًّا ، وحين جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه ، جاءه بصفة رجلٍ شديدِ بياضِ الثياب ، شديدِ سوادِ الشعر ، لا يُرى عليه أثرُ السفر ، ولا يعرفه أحد من الصحابة ، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وسأل النبي ﷺ عن الإسلام ، والإيمان ، و الإحسان ، والساعة ، وأماراتها ؛ فأجابه النبي ﷺ فانطلق ، ثم قال ﷺ : "**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**"[(١)] .

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم، ولوط كانوا على صورة رجال .

الرابع مما يتضمنه الإيمان بالملائكة : الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى ؛ كتسبيحه ، والتعبد له ليلاً ونهارًا بدون ملل ، ولا فتُور .

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، رقم (٩٣) .

وقد يكون لبعضهم أعمال خَاصَّة .

مثل : جبريل الأمين على وحي الله تعالى ، يرسله الله به إلى الأنبياء و الرسل .

وميكائيل : الموكل بالقطر أي بالمطر و النبات .

وإسرافيل : الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق .

وملك الموت : الموكل بقبض الأرواح عند الموت .

ومالك : الموكل بالنار، وهو خازن النار .

والملائكة الموكلين بالأجِنَّةِ في الأرحام ، إذا أتم الإنسان أربعة أشهر في بطن أمه ، بعث الله إليه ملكًا وأمره بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقيٍّ، أو سعيد.

والملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم ، وكتابتها لكل إنسان، ملكان أحدهما عن اليمين و الثاني عن الشمال .

والملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره ؛ يأتيه ملكان ، يسألانه عن ربه، ودينه ، ونبيه .

والإيمان بالملائكة يثمر ثمراتٍ جليلةً منها :

الأولى : العلم بعظمة الله تعالى ، وقوَّته ، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق .

الثانية : شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم ، حيث وكَّل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم ، وكتابة أعمالهم ، وغير ذلك من مصالحهم .

الثالثة : محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى .

وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجسامًا ، وقالوا : إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات ، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، وإجماع المسلمين .

قال الله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ [سورة فاطر : ١].

وقال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [سورة الأنفال : ٥٠].

وقال تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ﴾ [سورة الأنعام : ٩٣] .

وقال تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ : ٢٣].

وقال في أهل الجنة : ﴿وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [سورة الرعد : ٢٣ ، ٢٤].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إذا أحب الله العبد نادى جبريل : إن الله يحبُ فلانًا فأحببه ؛ فيحبّه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء : إنَّ الله يحب فلاناً فأحبُّوه؛ فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض "[١].

وفيه أيضًا عن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : " إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول ، فإذا جلس الإمام ؛ طووا الصحف ، وجاءوا يستمعون الذكر "[٢].

وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية ، كما قال الزائغون ، وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون .

* * *

(١) رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، رقم : (٣٠٣٧) .
(٢) رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، رقم : (٣٠٣٩) .

الإيمان بالكتب

الكتب : جمع (كتاب) بمعنى (مكتوب) .

والمراد بها هنا : الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمة للخلق ، وهداية لهم ، ليصلُوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة .

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور :

الأول : الإيمان بأن نزولها من عند الله حقًّا .

الثاني : الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه : كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ ، والتوراة التي أنزلت على موسى ﷺ ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى ﷺ، والزَّبور الذي أوتيه داود ﷺ ، وأما ما لم نعلم اسمه ؛ فنؤمن به إجمالاً .

الثالث : تصديق ما صحَّ من أخبارها ، كأخبار القرآن ، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة .

الرابع : العمل بأحكام ما لم ينسخ منها ، والرضا و التسليم به سواء أفهمنا حكمته أم لم نفهمها ، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة : ٤٨] أي (حاكمًا عليه).

وعلى هذا ، فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صحَّ منها ، وأقرَّه القرآن .

والإيمان بالكتب يثمر ثمراتٍ جليلةً منها :

الأولى : العلم بعناية الله - تعالى - بعباده ، حيث أنزل لكل قوم كتابًا ، يهديهم به .

الثانية : العلم بحكمة الله تعالى في شرعه ، حيث شرَّع لكل قوم ما يناسب أحوالهم ، كما قال الله تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة : ٤٨] .

الثالثة : شكر نعمة الله في ذلك .

الإيمان بالرسل

الرسل : جمع (رسول) بمعنى : (مُرسَل) أي مبعوث بإبلاغ شيء .

والمراد هنا : من أوحي إليه من البشر بشرع وأُمر بتبليغه .

وأول الرسل نوح - عليه السلام - وآخرهم محمد ﷺ.

قال الله تعالى : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [سورة النساء : ١٦٣] .

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الشَّفاعة أن النبي ﷺ : " ذكر أن الناس يأتون إلى آدم ؛ ليشفع

لهم ، فيعتذر إليهم ويقول : ائتوا نوحًا أول رسولٍ بعثه الله " وذكر تمامَ الحديث[١] .

وقال الله تعالى في محمد ﷺ : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [سورة الأحزاب] .

ولم تخلُ أمةٌ من رسول ، يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه ، أو نبي يوحى إليه بشريعة من قبله ؛ ليجددها ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل : ٣٦]

وقال تعالى : ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلا خلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر : ٣٦] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [سورة المائدة : ٤٤].

والرسل بشر مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء ، قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ وهو سيد الرسل ، وأعظمهم جاهًا عند الله : ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف : ١٨٨].

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة و النار ، رقم (٦١٩٧) .

وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [سورة الجن : ٢١ ، ٢٢] .

وتلحقهم خصائص البشرية : من المرض ، والموت ، والحاجة إلى الطعام ، و الشراب ، وغير ذلك ، قال الله تعالى عن إبراهيم - عليه الصلاة و السلام - في وصفه لربه تعالى : ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [سورة الشعراء : ٧٩ ، ٨١] .

وقال النبي ﷺ : " إنما أنا بشرٌ مثلكم أنسى كما تنسون ؛ فإذا نسيت ؛ فذكّروني "(١) .

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم ، وفي سياق الثناء عليهم ؛ فقال تعالى في نوح ﷺ : ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [سورة الإسراء : ٣] وقال في محمد ﷺ : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان : ١] .

وقال في إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب - صلَّى الله عليهم وسلَّم - : ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي

---

(١) رواه البخاري ، كتاب أبواب القبلة ، باب التوجه إلى القبلة حيث كان ، رقم (٣٩٢) .

الأَيْدِي وَالأَبْصَار * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّار * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَار﴾ [سورة ص : ٤٥ ، ٤٧] .

وقال في عيسى ابن مريم ﷺ : ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة الزخرف : ٥٩] .

والإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور :

الأول : الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى ، فمن كفر برسالة واحد منهم ؛ فقد كفر بالجميع ، كما قال الله تعالى : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء : ١٠٥] ، فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل ، مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذَّبوه ، وعلى هذا فالنصارى الذين كذَّبوا محمدًا ﷺ ولم يتبعوه ؛ هم مكذِّبون للمسيح ابن مريم ، غير متبعين له أيضًا ، لا سيَّما أنه قد بشرهم بمحمد ﷺ ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم ، ينقذهم الله به من الضَّلالة ، ويهديهم إلى صراط مستقيم .

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل : محمد ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ونوح – عليهم الصلاة والسلام – وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل ، وقد ذكرهم الله –تعالى – في موضعين من القرآن في قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [سورة الأحزاب : ٧] ، وقوله : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ

مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [سورة الشورى : ١٣] .

وأما من لم نعلم اسمه منهم ؛ فنؤمن به إجمالاً ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [سورة غافر : ٧٨] .

الثالث: تصديق ما صحَّ عنهم من أخبارهم .

الرابع : العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم ، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس ، قال الله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء : ٦٥] .

وللإيمان بالرسل ثمراتٌ جليلة منها :

الأولى : العلم برحمة الله تعالى ، وعنايته بعباده، حيث أرسل إليهم الرسل ؛ ليهدوهم إلى صراط الله تعالى ، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله ؛ لأنّ العقل البشري ، لا يستقل بمعرفة ذلك .

الثانية : شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى .

الثالثة : مَحبَّةُ الرسل - عليهم الصلاة و السلام - وتعظيمهم ، والثَّناء عليهم بما يليق بهم ؛ لأنهم رسل الله تعالى ، ولأنهم قاموا بعبادته ، وتبليغ رسالته ، والنُّصحِ لعباده .

وقد كذَّب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر ! وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم ، وأبطله بقوله سبحانه : ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولاً * قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً﴾ [سورة الإسراء : ٩٤ ، ٩٥] .

فأبطل الله تعالى هذا الزعم بأنه لابد أن يكون الرسول بشرًا ؛ لأنه مرسل إلى أهل الأرض ، وهم بشر ، ولو كان أهل الأرض ملائكة ؛ لنزَّل الله عليهم من السماء ملكًا رسولاً ؛ ليكون مثلهم ، وهكذا حكى الله تعالى عن المكذبين للرسل أنهم قالوا : ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ﴾ [سورة إبراهيم : ١٠ ، ١١].

* * *

الإيمان باليوم الآخر

اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يُبْعثُ الناس فيه ؛ للحساب ، والجزاء .

وسمِّي بذلك ؛ لأنه لا يوم بعده ، حيث يستقرُ أهل الجنة في منازلهم ، وأهل النار في منازلهم .

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور :

الأول : **الإيمان بالبعث** : وهو إحياء الموتى حين ينفخُ في الصور النفخة الثانية ؛ فيقوم الناس لرب العالمين ، حفاة غيرَ منتعلين ، عراة غيرَ مستترين ، غُرلاً غيرَ مختتنين ، قال الله تعالى : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء : ١٠٤] .

والبعث : حقٌّ ثابت ، دلَّ عليه الكتابُ ، و السُّنَّةُ ، وإجماع المسلمين .

قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون : ١٥ ، ١٦] .

وقال النبي ﷺ : " **يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً** "(١) .

---

(١) متفق عليه ، واللفظ لمسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فناء الدنيا ، رقم: (٧١٢٧) .

وأجمع المسلمون على ثبوته ، وهو مقتضى الحكمة ، حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معادًا ، يجازيهم فيه على ما شرعه لهم فيما بعث به رسله ، قال الله تعالى : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة المؤمنون : ١١٥] وقال لنبيه ﷺ : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [سورة القصص : ٨٥] .

الثاني : الإيمان بالحساب والجزاء : يحاسَبُ العبد على عمله ، ويجازى عليه ، وقد دلَّ على ذلك الكتاب ، والسنة ، وإجماع المسلمين .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [سورة الغاشية : ٢٥ ، ٢٦] وقال تعالى : ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام : ١٦٠] وقال تعالى : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء : ٤٧] .

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال: " إن الله يدني المؤمن ؛ فيضع عليه كنفه – أي ستره – ويستره ، فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم ، أي رب ، حتى إذا قرَّرَهُ بذنوبه ، ورأى أنه قد هلك ؛ قال : قد سترتها عليك في الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ؛ فيعطى

كتاب حسناته ، وأما الكفار والمنافقون ؛ فينادى بهم على رؤوس الخلائق : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنةُ الله على الظالمين"(١) .

وصحَّ عن النبي ﷺ : " أن من همَّ بحسنة فعملها ؛ كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، وأن من همَّ بسيئة فعملها ؛ كتبها الله سيئة واحدة "(٢) .

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال ، وهو مقتضى الحكمة ؛ فإن الله تعالى أنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به ، و العمل بما يجب العمل به منه ، وأوجب قتال المعارضين له وأحلَّ دماءهم ، وذرِّيَّاتهم ، ونساءهم ، وأموالهم ، فلو لم يكن حساب ولا جزاء ؛ لكان هذا من العبث الذي ينزهُ الرب الحكيم عنه ، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله : ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [سورة الأعراف : ٦ ، ٧] .

---

(١) رواه البخاري ، كتاب المظالم ، باب قول الله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين ، رقم : (٢٣٠٩) .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الرقاق ، باب من هم بحسنة أو سيئة ، رقم : (٦١٢٦) ورواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب ، رقم: (٣٣٥) .

الثالث: الإيمان بالجنة والنار وأنهما المآل الأبدي للخلق .

فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين ، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به ، وقاموا بطاعة الله ورسوله ، مخلصين لله ، مُتَّبِعِين لرسوله ، فيها من أنواع النعيم "ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر"(١) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [سورة البينة : ٧ ، ٨] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة : ١٧] .

وأما النار: فهي دار العذاب التي أعدَّها الله تعالى للكافرين الظالمين ، الذين كفروا به وعصوا رسله ، فيها من أنواع العذاب ، والنَّكال ما لا يخطر على البال قال الله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة آل عمران : ١٣١] ، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن

(١) رواه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في وصف الجنة وأنها مخلوقة، رقم : (٣٠٧٢) .

يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾ [سورة الكهف: ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾ [سورة الأحزاب : ٦٤، ٦٦] .

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها :

الأولى : الرغبة في فعل الطاعة ، والحرص عليها ؛ رجاء لثواب ذلك اليوم .

الثانية : الرهبة من فعل المعصية ، ومن الرضى بها ؛ خوفًا من عقاب ذلك اليوم .

الثالثة : تسلية المؤمن عمَّا يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة ، وثوابها .

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت ؛ زاعمين أن ذلك غير ممكن .

وهذا الزعم باطل ، دلَّ على بطلانه الشرع ، والحس ، و العقل .

أما الشرع : فقد قال الله تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة التغابن : ٧] . وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه .

وأما الحس : فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا ، وفي سورة البقرة ، خمسة أمثلة على ذلك ، هي :

المثال الأول : قوم موسى حين قالوا له : ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [سورة البقرة : ٥٥] فأماتهم الله تعالى ، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطبًا بني إسرائيل : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة : ٥٥ ، ٥٦] .

المثال الثاني : في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل ، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ؛ ليخبرهم بمن قتله ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة : ٧٢، ٧٣]

المثال الثالث : في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت وهم ألوف ؛ فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٣].

المثال الرابع : في قصة الذي مرَّ على قرية ميِّتةٍ ، فاستبعد أن يحييها الله تعالى ؛ فأماته الله تعالى مائة سنة ، ثم أحياه ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٩].

المثال الخامس : في قصة إبراهيم الخليل ، حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى ؛ فأمره الله تعالى أن يذبح أربعة من الطير ، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله ، ثم يناديهن ؛ فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض ، ويأتين إلى إبراهيم سعيًا ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٠].

فهذه أمثلة حسيَّة واقعة ، تدل على إمكان إحياء الموتى ، وقد سبقت الإشارة إلى ما جعله الله تعالى من آيات عيسى بن مريم في إحياء الموتى ، وإخراجهم من قبورهم - بإذن الله تعالى - .

وأما دلالة العقل : فمن وجهين :

أحدهما : أن الله تعالى فاطر السموات ، والأرض ، وما فيهما ، خالقهما ابتداء ، والقادر على ابتداء الخلق، لا يعجز عن إعادته ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [سورة الروم : ٢٧] . وقال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء : ١٠٤]. وقال آمرًا بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم:﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يس : ٧٩] .

الثاني : أن الأرض تكون ميتة هامدة ، ليس فيها شجرة خضراء ؛ فينزل عليها المطر ؛ فتهتز خضراءَ حيَّةً ، فيها من كل زوج بهيج ، والقادر على إحيائها بعد موتها ، قادر على إحياء الأموات، قال الله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة فصلت : ٣٩] ، وقال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [سورة ق : ٩ ، ١١]

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر :

الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل :

(أ) فتنة القبر : وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه ، ودينه ، ونبيه ؛ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، فيقول : ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد ﷺ ، ويضلُ الله الظالمين فيقول الكافر : هاه ، هاه ، لا أدري ، ويقول المنافق أو المرتاب[1] : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته .

(ب) عذاب القبر ونعيمه : فيكون للظالمين من المنافقين والكافرين ، قال الله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة الأنعام : ٩٣].

وقال تعالى في آل فرعون : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [سورة غافر : ٤٦] .

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال : " فلولا أن لا تدافنوا ؛ لدعوتُ اللهَ أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ، ثم أقبل بوجهه ؛ فقال: تعوَّذوا بالله من عذاب

---

(١) (أو) للشك من الراوي كما في الصحيحين .

النار " قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار ، فقال : "تعوَّذوا بالله من عذاب القبر" ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر ، قال: "تعوَّذوا بالله من الفتن ، ما ظهر منها ، وما بطن " ، قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال: " تعوَّذوا بالله من فتنة الدجال " قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال(١).

وأما نعيم القبر؛ فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [سورة فصلت : ٣٠]

وقال تعالى : ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ [سورة الواقعة: ٨٣ ، ٨٩] .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره : "ينادي منادٍ من السماء : أن صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له

(١) رواه مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، و إثبات عذاب القبر ، و التعوذ منه ، رقم (٧١٤٢) .

بابًا إلى الجنة ، قال: فيأتيه من رَوحها وطِيبها ، ويفسحُ له في قبره مدَّ بصره "[١] .

وقد ضلَّ قوم من أهل الزَّيغ فأنكروا عذاب القبر ، ونعيمه، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفته الواقع ، قالوا : فإنه لو كشف عن الميّت في قبره ؛ لوجد كما كان عليه ، والقبر لم يتغير بِسِعَةٍ ، ولا ضِيق .

وهذا الزعم باطل ؛ بالشرع ، والحس ، و العقل :

أما الشرع : فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر ، ونعيمه .

وفي صحيح البخاري – من حديث – ابن عباس رضي الله عنه قال : " خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة ؛ فسمع صوت إنسانين يُعذبَان في قبورهما" وذكر الحديث ، وفيه : " أن أحدهما كان لا يستتر من البول" وفي رواية : (من بوله) ، وأن الآخر كان يمشي بالنميمة " وفي رواية لمسلم : " لا يستنزه من البول "[٢] .

---

(١) رواه أحمد ، كتاب حديث البراء بن عازب ، رقم : (١٨٠٦٣)، وأبو داود ، كتاب أول كتاب السنة ، باب المسألة في القبر وعذاب القبر ، رقم : (٤٧٥٣) .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب النميمة من الكبائر ، رقم (٥٧٠٨) ، ورواه مسلم، كتاب الطهارة ، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ، رقم (٦٧٦) .

وأما الحس : فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج ، يتنعم فيه ، أو أنه كان في مكان ضيق موحش ، يتألم منه ، وربما يستيقظ أحيانًا مما رأى، ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه ، والنوم أخو الموت ، ولهذا سماه الله تعالى : (وفاة) قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [سورة الزمر : ٤٢] .

وأما العقل : فإن النائم فى منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للواقع ، وربما رأى النبي ﷺ على صفته ، ومن رآه على صفته ؛ فقد رآه حقًّا ، ومع ذلك ، فالنائم في حجرته على فراشه بعيدٌ عما رأى ، فإذا كان هذا ممكنًا في أحوال الدنيا ؛ أفلا يكون ممكنًا في أحوال الآخرة ؟!

وأما اعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميِّت في قبره ؛ لوجد كما كان عليه ، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق ؛ فجوابه من وجوه منها :

الأول: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع ، بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمَّل المعارض بها ما جاء به الشرع حقَّ التأمل ؛ لعلم بطلان هذه الشبهات ، وقد قيل :

وكم من عائبٍ قولاً صحيحًا وآفته من الفَهمِ السقيمِ

الثاني : أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحسُّ ، ولو كانت تدرك بالحس ؛ لفاتت فائدة الإيمان بالغيب ، ولتساوى المؤمنون بالغيب ، و الجاحدون في التصديق بها .

الثالث: أن العذاب ، والنعيم ، وسعة القبر ، وضيقه ؛ إنما يدركها الميِّتُ دون غيره ، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيِّق موحش ، أو في مكان واسع بهيج ، والذي حوله لا يرى ذلك ولا يشعر به ، ولقد كان النبيُّ ﷺ يوحى إليه ، وهو بين أصحابه ؛ فيسمعُ الوحي ، ولا يسمعهُ الصحابة ، وربما يتمثَّل له الملك رجلاً فيكلِّمه ، والصحابة لا يرونَ الملك ، ولا يسمعونه .

الرابع : أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه ، ولا يمكن أن يدركوا كل موجود ، فالسموات السَّبع ، والأرض ، ومن فيهن ، وكل شيء يسبحُ بحمد الله تسبيحًا حقيقيًّا ، يُسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحيانًا ، ومع ذلك هو محجوب عنا ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّموات السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [سورة الإسراء : ٤٤] ، وهكذا الشياطين ، والجن يسعون في الأرض ذهابًا وإيابًا ، وقد حضرت الجن إلى رسول الله ﷺ واستمعوا لقراءته ، وأنصتُوا ، وولَّوا إلى قومهم منذرين، ومع هذا ؛ فهم

محجوبون عنا ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[سورة الأعراف:٢٧] ، وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود ؛ فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب ، ولم يدركوه .

* * *

الإيمان بالقدر

القَدَر (بفتح الدال) : تقدير الله تعالى للكائنات ، حسبما سبق به علمه ، واقتضتهُ حكمته .

والإيمان بالقدر يتضمّنُ أربعة أمور :

الأول : الإيمان بأن الله تعالى عالمٌ بكل شيء ، جملةً وتفصيلاً ، أزلاً وأبدًا ، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله ، أو بأفعال عباده .

الثاني : الإيمان بأن الله تعالى كتب ذلك في اللوح المحفوظ ، وفي هذين الأمرين يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحج : ٧٠] .

وفي صحيح مسلم – عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " كتب الله مقادير الخلائقِ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة "(١) .

الثالث : الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى ، سواء أكانت مما يتعلق بفعله، أم مما يتعلق بفعل المخلوقين ، قال الله تعالى فيما يتعلقُ بفعله : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ﴾ [سورة القصص : ٦٨] ، وقال : ﴿ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء﴾ [سورة إبراهيم : ٢٧] وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء﴾ [سورة آل عمران : ٦] وقال تعالى فيما يتعلق بفعل المخلوقين : ﴿ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ [سورة النساء : ٩٠] ، وقال : ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام : ١١٢] .

الرابع : الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها ، وصفاتها ، وحركاتها ، قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الزمر:٦٢] ، وقال

(١) رواه مسلم ، كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ، رقم (٦٦٩٠) .

سبحانه : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [سورة الفرقان : ٢]، وقال عن نبيِّه إبراهيم - عليه الصلاة و السلام - أنه قال لقومه : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الصافات: ٩٦] .

والإيمان بالقدر - على ما وصفنا - لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية ، وقدرة عليها ؛ لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له .

أما الشرع : فقد قال الله تعالى في المشيئة : ﴿فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾ [سورة النبأ : ٣٩] ، وقال: ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٣] ، وقال في القدرة : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ [سورة التغابن : ١٦] ، وقال : ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] .

وأما الواقع : فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة ، بهما يفعل ، وبهما يترك ، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش ، لكنَّ مشيئة العبد ، وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى ، وقدرته لقول الله تعالى : ﴿لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة التكوير : ٢٨ ، ٢٩] ، ولأن الكون كله ملك لله تعالى ؛ فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته .

والإيمان بالقدر - على ما وصفنا - لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات ، أو فعل من المعاصي ، وعلى هذا ؛ فاحتجاجه به باطل من وجوه :

الأول : قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٨] ، ولو كان لهم حجة بالقدر ؛ ما أذاقهم الله بأسه .

الثاني : قوله تعالى : ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء : ١٦٥] ، ولو كان القدر حجة للمخالفين ؛ لم تنتفِ بإرسال الرسل ؛ لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى .

الثالث : ما رواه البخاري ومسلم - واللفظ للبخاري - عن علي بن أبي طالب ﵁ أن النبي ﷺ قال : "ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة" فقال رجل من القوم : ألا نَتَّكِلُ يا رسول الله ؟ قال : "لا ، اعملوا فكل مُيَسَّر" ، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾" [سورة الليل : ٥] ، وفي لفظ لمسلم : "

فكل مُيَسَّرٌ لما خلق له"[1] ، فأمر النبي ﷺ بالعمل ، ونهى عن الاتكال على القدر .

الرابع : أن الله تعالى أمر العبد ونهاه ، ولم يكلفه إلا ما يستطيع ، قال الله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن : ١٦] وقال : ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] ، ولو كان العبد مجبرًا على الفعل ؛ لكان مكلَّفًا بما لا يستطيع الخلاص منه ، وهذا باطل ؛ ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل ، أو نسيان ، أو إكراه ؛ فلا إثم عليه ؛ لأنه معذور .

الخامس : أن قدر الله تعالى سرٌّ مكتومٌ لا يُعْلَمُ به إلا بعد وقوع المقدور ، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله ؛ فتكون إرادته الفعل غير مبنيَّةٍ على علم منه بقدر الله ، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر ؛ إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه .

السادس : أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه ؛ حتى يدركه ، ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ، ثم يحتجُّ على عدوله بالقدر؛ فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتجُّ بالقدر ؟ أفليس شأن الأمرين واحدًا ؟!

(١) رواه البخاري ، كتاب التفسير ، باب فسنيسره لليسرى رقم : (٤٦٦٣) ، ورواه مسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي وكتابة أجله ، رقم : (٦٦٧٥) .

توضيح

وإليك مثالاً يوضح ذلك :

لو كان بين يدي الإنسان طريقان : **أحدهما** : ينتهي بـه إلى بلد كلها فوضى : قتل ، ونهب ، وانتهاك للأعراض ، وخوف ، وجوع .

والثاني : ينتهي بـه إلى بلـد كلـها نظـام ، وأمـن مـستتب، وعيش رغيد ، واحترام للنفوس والأعراض و الأمـوال ، فـأي الطريقين يسلك ؟

إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظـام و الأمن ، و لا يمكن لأي عاقل أبدًا أن يسلك طريقَ بلدِ الفوضى ، والخوف ، ويحتجُّ بالقدر ، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريـق النار دون الجنة ويحتجُّ بالقدر ؟

ومثالاً آخر : نرى المريض يؤمر بالدواء ؛ فيشربه ، ونفـسه لا تشتهيه ، وينهى عن الطعـام الـذي يـضرُّه ؛ فيتركـه، ونفـسه تشتهيه ، كل ذلك ؛ طلبـًا للشفاء والسلامة ، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء ، أو يأكل الطعام الذي يضره ، ويحتجُّ بالقـدر ، فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله به ورسوله أو يفعـلُ مـا نهـى الله عنه ورسوله ثم يحتجُّ بالقدر ؟

الـسابع : أن المحـتجَّ بالقـدر علـى مـا تركـه مـن الواجبات ، أو فعله من المعاصي ، لـو اعتـدى عليـه شـخص فأخذ ماله ، أو انتهك حرمتـه ، ثـم احـتجَّ بالقـدر، وقـال : لا

تلمني فإنَّ اعتدائي كان بقدر الله ؛ لم يقبل حجته ، فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه ، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى ؟!

ويُذْكَرُ أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ رُفِعَ إليه سارقٌ استحق القطع ؛ فأمر بقطع يده فقال : مهلاً يا أمير المؤمنين ، فإنما سرقت بقدر الله؛ فقال عمر : ونحن إنما نقطعُ بقدر الله .

وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها :

الأولى : الاعتماد على الله تعالى ، عند فعل الأسباب ، بحيث لا يعتمدُ على السبب نفسه ؛ لأن كل شيء بقدر الله تعالى .

الثانية : أن لا يُعجَب المرء بنفسه عند حصول مراده؛ لأن حصوله نعمة من الله تعالى ، بما قَدَّره من أسباب الخير ، والنجاح ، وإعجابه بنفسه ، ينسيه شكر هذه النعمة .

الثالثة : الطمأنينة ، والراحة النفسية بما يجزى عليه من أقدار الله تعالى ؛ فلا يقلقُ بفوات محبوب، أو حصول مكروه ؛ لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض ، وهو كائن لا محالة ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا

تفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة الحديد : ٢٢ ، ٢٣] ، ويقول النبي ﷺ : "عجبًا لأمر المؤمن إنّ أمره كلَّه خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سرَّاءُ شكر ؛ فكان خيرًا له ، وإن أصابته ضرَّاءُ صبر ؛ فكان خيرًا له "[1] .

وقد ضلّ في القدر طائفتان :

إحداهما : الجبرية الذين قالوا إنَّ العبد مجبر على عمله ، وليس له فيه إرادة ولا قدرة .

الثانية : القدرية الذين قالوا : إنَّ العبد مستقل بعلمه في الإرادة ، والقدرة ، وليس لمشيئة الله تعالى، وقدرته فيه أثر .

والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع.

أما الشرع : فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه ، قال الله تعالى : ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [سورة آل عمران : ١٥٢] وقال تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [سورة الكهف : ٢٩] وقال تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت : ٤٦] .

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير ، رقم (٧٤٢٥) .

وأما الواقع : فإن كل إنسان يعلمُ الفرق بين أفعالـه الاختياريـة التي يفعلها بإرادته : كالأكل ، والشرب ، والبيع، والشراء ، وبين مـا يقعُ عليه بغـير إرادتـه : كالارتعـاش مـن الحمـى ، والسـقوط مـن السطح ، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر ، وفي الثـاني غير مختار ، ولا مريد لما وقع عليه .

والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقـل :

أما الشرع : فإن الله تعالى خالق كـل شـيء ، وكـل شـيء كائن بمشيئته ، وقد بـيّـنَ الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى : ﴿وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْـدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَـاءتْهُمُ الْبَيِّنَـاتُ وَلَكِـنِ اخْتَلَفُـواْ فَمِـنْهُم مَّـنْ آمَـنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَـا اقْتَتَلُــواْ وَلَكِـنَّ اللّهَ يَفْعَـلُ مَـا يُرِيدُ﴾ [سورة البقـرة :٢٥٣] ، وقال تعالى : ﴿وَلَوْ شِـئْنَا لآتَيْنَـا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّـةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة السجدة : ١٣] .

وأَما العقل : فإن الكون كُلَّه مملوكٌ لله تعالى ، والإنسان من هذا الكـون ؛ فهـو مملـوك لله تعـالى ، ولا يمكـن للمملـوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته .

* * *

أهداف العقيدة الإسلامية

الهدف (لغة) : يطلق على معانٍ منها : (الغَـرَضُ ، ينـصب ؛ ليرمي إليه ، وكل شيء مقصود) .

أهداف العقيدة الإسلامية : مقاصدها ، وغاياتها النبيلـة ، المترتبة على التمسك بها ، وهي كثيرة متنوعة فمنها :

أولاً : إخلاص النيـة ، والعبـادة لله تعـالى وحـده ؛ لأنـه الخالق لا شريك له ؛ فوجب أن يكـون القـصد ، والعبـادة لـه وحده .

ثانيـًا : تحريـر العقـل ، والفكـر مـن التخـبُّط الفوضـويِّ الناشئ عن خُلُوِّ القلب من هذه العقيدة ؛ لأن مـن خـلا قلبـه منها ؛ فهو إما فارغ القلب من كل عقيدة ، وعابد للمادة الحسِّيَّة فقط ، وإما متخبط في ضلالات العقائد ، والخرافات .

ثالثـًا : الراحة النفسية ، والفكرية ، فلا قلق في النفس ولا اضطراب في الفكر ؛ لأن هذه العقيـدة تـصل المـؤمن بخالقـه ؛ فيرضـى به ربـًا مـدبرًا ، وحاكمـًا مـشرِّعـًا ؛ فيطـمئـنُ قلبـه بقدره ، وينشرح صـدره للإسلام ؛ فلا يبغي عنه بديلاً .

رابعـًا : سلامة القصد ، والعمل من الانحراف في عبادة الله تعالى ، أو معاملة المخلوقين ؛ لأن من أسسها الإيمان بالرسـل ، المتضمن لاتباع طريقتهم ذات السلامة في القصد و العمل .

خامسًا : الحزم و الجد في الأمور ، بحيث لا يفوِّت فرصة للعمل الصالح إلا استغلها فيه ؛ رجاء للثواب ، ولا يرى موقع إثم إلا ابتعد عنه ؛ خوفًا من العقاب ؛ لأن من أسسها الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال .

قال الله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام : ١٣٢] ، وقد حثَّ النبي ﷺ على هذه الغاية في قوله : "المؤمن القوي خيرٌ ، وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدَّر الله وما شاء فعل ؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان "(١) .

سادسًا : تكوين أمَّة قوية تبذل كلَّ غالٍ ورخيص في تثبيت دينها ، وتوطيد دعائمه ، غير مبالية بما يصيبها في سبيل ذلك ، وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات : ١٥].

---

(١) رواه مسلم ، كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ، رقم (٦٧١٦) .

نواقض الإيمان

معنى النواقض:

في اللغة :النقضُ في البناء والحبل والعهد وغيره، ضد الإبرام، أي هو: الحلُّ، والإزالة والإبطال.

وفي الاصطلاح :عُرّفت بأنها» :اعتقادات، أو أقوال، أو أفعال تزيل الإيمان وتقطعه « .وسُميت نواقض؛ لأن الإنسان إذا فعل واحداً منها؛ انتقض إسلامه ودينه، وانتقل من كونه مسلماً إلى كونه كافراً.

ويدخل في هذه النواقض ما يخرج من الملة كالشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الأكبر.

أما ما دون ذلك مما يدخل في الشرك الأصغر؛ كيسير الرياء، أو الشرك الأصغر؛ كالحلف بغير الله؛ أو النفاق الأصغر؛ كمن عادته الكذب في الحديث أو خيانة الأمانة، أو الغدر، فلا يخرج من الملة ولا ينقل عن الإسلام؛ بل ينقص الإيمان ويستحق العقوبة إلاَّ أن يتوب صاحبه غير أنّه لا يخلّد في النار، كما يحبط العمل الذي يقترن به ولا يحبط جميع الأعمال.

نواقض الإيمان:

نواقض الإيمان كثيرة في تفصيلاتها، لكنها تجتمع في ثلاثة أنواع، هي:

أوّلاً –النواقض الاعتقادية.

ثانياً –النواقض القولية.

ثالثاً –النواقض العملية.

احس النواقض تكفي تعداد.. وفهم للباقي

أولاً: نواقض الإيمان الاعتقادية:

١ – الشرك بالله تعالى (من الناحية العقدية) أي: الشرك الاعتقادي:

- باعتقاد أن ما سوى الله يستحق أن يُدعى أو يذبح له.
- باعتقاد أن ما سوى الله له تصرف معيّن في الكون.
- باعتقاد أن أحداً سوى الله له اطلاع على الغيب؛ كالكهنة وغيرهم.

قال تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾]النساء : ١١٦].

٢– الجحود والتكذيب بشيء من الفرائض والواجبات:

قال الإمام ابن بطة: «كل من ترك شيئاً من الفرائض التي فرضها الله في كتابه أو أكدها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في سنته، على سبيل الجحود والتكذيب بها؛ فهو كافر بيّن الكفر.[4]»

٣– استحلال أمر معلوم من الدين بالضرورة تحريمه:

قال الإمام ابن قدامة: «من اعتقد حلَّ شيء أُجمع على تحريمه، وظهر حكمه بين المسلمين، وزالت الشبهة فيه للنصوص الواردة فيه كلحم الخنزير، والزنا، وأشباه هذا مما لا خلاف فيه، كفر.[5]»

٤–الشك في حكم من أحكام الله عز وجل أو في خبر من أخباره:

كمن يشك في صدق النبي – صلى الله عليه وسلم – وفي بعض أخباره الثابتة عنه، أو في حكم شرعي ثابت كحرمة الربا.

٥ – من لم يكفّر المشركين أو شكّ في كفرهم، أو صحّح مذهبهم:

لقد بعث الله النبي – صلى الله عليه وسلم – بالإسلام، وجعله ناسخاً لما قبله من الأديان، وأخبر أنه لا يقبل من أحد ديناً سواه، فكل من دان بغير دين الإسلام؛ فهو كافر. قال تعالى :﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

٦– اعتقاد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع النبي –صلى الله عليه وسلم –، وأنه يسعه الخروج عن شريعته: قال تعالى :﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وقال النبي – صلى الله عليه وسلم» :– كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً.

٧– الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به:

فالإيمان لما كان خضوعاً واستجابةً وقبولاً لدين الله، عُدّ الإعراض الكلي عن هذه الأمور ناقضاً للإيمان ومفسداً له. وهذا الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به هو تَوَلٍّ عن طاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وامتناع عن اتباعه، وصدودٌ عن قبول الشريعة بالكلية؛ قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قد تبيّن أن الدين لابدّ فيه من قولٍ وعملٍ، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمناً بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه، ولم يؤد واجباً ظاهراً، ولا صلاة، ولا زكاة، ولا صياماً، ولا غير ذلك من الواجبات. [7]«وقال ابن القيم: «كفر الإعراض: أن يُعرض بسمعه وقلبه عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يصدّقه ولا يكذّبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة. [8]«

٨– النفاق الاعتقادي وهو النفاق الأكبر

وهو: أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كلّه مكذّب به. قال الله تعالى :﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾]النساء: ١٤٥.[

٩- الإباء والاستكبار:

وهو كفر من عرف صدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم ينقد له إباءً واستكباراً، وهو الغالب على كفر أعداء الرسول. وكفر إبليس من هذا النوع، قال الله تعالى :﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾]البقرة: ٣٤.[

ثانياً: نواقض الإيمان القولية:

١- سبّ الله تعالى، أو رسله، أو كتبه، أو دينه:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من اعتقد الوحدانية في الألوهية لله سبحانه وتعالى، والرسالة لعبده ورسوله، ثم لم يُتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام، الذي هو حال في القلب يظهر أثره على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول، أو بالفعل، كان وجوده ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجباً لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلاً لما فيه من المنفعة والصلاح.[9]»

٢- الاستهزاء بالله، أو دينه، أو رسله، أو كتبه :فكل ذلك داخل في قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ *لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾]التوبة: ٦٥، ٦٦.[

٣- إنكار معلوم من الدين بالضرورة، مثل:

إنكار الكتب المنزلة على الأنبياء، أو إنكار الملائكة، أو إنكار الجّن، أو إنكار البعث، أو إنكار الوعد والوعيد.

٤- ادّعاء النبوة :قال - صلى الله عليه وسلم» :- لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ.[10]»

٥- ادعاء علم الغيب؛ كالتنجيم والكهانة والعرافة:

كمن يجعل تعلم علم النجوم «سبباً يدّعي به علم الغيب، فيستدلّ بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا؛ لأن النجم الفلاني صار كذا وكذا، مثل أن يقول: هذا الإنسان ستكون حياته شقاءً ؛ لأنه ولد في النجم الفلاني، وهذا حياته ستكون سعيدة؛ لأنه وُلد في النجم الفلاني.

فهذا اتخذ تعلم النجوم وسيلة لادعاء علم الغيب، ودعوى علم الغيب كفر مخرج عن الملة، قال تعالى :﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥]، وهذا من أقوى أنواع الحصر؛ لأنه بالنفي والإثبات، فإذا ادعى أحد علم الغيب فقد كذّب بالقران.

فمن سأل المنجم أو الكاهن وصدّقه كفر بالله تعالى؛ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم» :- مَنْ أَتَى عَرَّافاً أَوْ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ .[12]«وإن لم يصدقه فكما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم» :- مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً.[13]»

ثالثاً: نواقض الإيمان العملية:

١- الشرك في عبادة الله عز وجل أي الشرك بالعمل:

بأن يتقدم لغير الله بأنواع العبادات التي هي حق الله وحده؛ كالركوع، والسجود، والنذر، والذبح.

٢- السحر :هو في اللغة ما خفي ولطُف سببه.

وفي الشرع عُقد ورقى، أو قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور.

وهو شرك يكفر فاعله؛ لأن فيه استعانة بالشياطين بطاعتهم والتقرب إليهم بفعل الكفر، وذلك لتسليطهم على المسحور. قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٣- الاستهانة بالمصحف، وتلويثه بالنجاسات أو دوسه بالأقدام.

٤- مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

شروط وموانع الحكم على المعيّن بالكفر

عقيدة أهل السنة والجماعة أنه لا يحكم على الشخص المعين بالكفر حتى تجتمع فيه جميع شروط التكفير وتنتفي عنه جميع الموانع فهم يفرقون بين التكفير المطلق وبين التكفير المعين أو بين تكفير العمل وبين تكفير العامل فقد يفعل الإنسان عملًا بالاتفاق أنه يكفر به لكن لا نكفر صاحبه (وهو العامل) حتى تتحقق فيه الشروط وتنتفي عنه الموانع.

مثال ذلك: لو أن رجلًا شك في قدرة الله – عز وجل – وقال: أن الله لا يقدر أن يعذبني – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا – فإن شكه هذا كفر باتفاق أئمة المسلمين فنحن نطلق هذا الحكم ونقول من قال هذا الشيء فإنه يكفر ولكن لا نستطيع أن نكفر شخصًا بعينه إذا وقع في مثل هذا حتى تتحقق فيه الشروط وتنتفي عنه الموانع لأنه قد يكون جاهلًا أو مكرهًا أو غير ذلك من الموانع التي سوف نذكرها.

ويدل على ذلك:

ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة– رضي الله عنه –في قصة الرجل الذي أسرف على نفسه وأوصى بنيه أنه إذا مات أن يحرقوه ويسحقوه ويذروا نصفه في البر ونصفه في البحر وقال: "والله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذابًا ما عذب به أحد " وهذه المقولة كفر باتفاق أئمة المسلمين لأن فيها شكًا في قدرة الله ومع ذلك غفر الله له كما جاء في آخر الحديث لأنه حمله على قول ذلك الخوف من الله – عز وجل – كما ثبت في آخر الحديث، فدل هذا على أنه بمقولته جاهل فعُذر بالجهل إذ أنه لا يمكن أن يشك في قدرة الله ويخافه في نفس الوقت.

أولًا: شروط الحكم على المسلم المعين بالكفر:

١ – أن يكون عالمًا بتحريم هذا الشيء المكفر.

والعلم ضده الجهل كما في المثال السابق فهذا انتفى عنه هذا الشرط كونه لا يعلم وسيأتي مزيد من تفصيل لهذا الشرط عند ذكر مانع الجهل بإذن الله تعالى.

٢ – أن يكون متعمدًا لفعله.

وضد العمد النسيان فكون فعل هذا المكفر ناسيًا فإننا لا نكفره بعينه إذ أنه لم يتعمد فعله لحديث ابن عباس - رضي الله عنهما- مرفوعًا " إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " رواه ابن ماجه.

٣- أن يكون مختارًا.

والاختيار ضده الإكراه وسيأتي بإذن الله في موانع التكفير.

ثانيًا: موانع الحكم على المسلم المعّين بالكفر:

١-الجهل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاستغاثة (٣٨١/١): " إن تكفير المعين وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها، وإلا فليس من جهل شيئًا من الدين يكفر."

وقال ابن القيم في مدارج السالكين (٣٦٧/١)بعد ذكره كفر من هجر فريضة من فرائض الإسلام أو أنكر صفة من صفات الله تعالى أو أنكر خبرًا أخبر الله به عمدًا، قال:" وأما جحد ذلك جهلًا أو تأويلًا يُعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به."

فمن فعل مكفرًا جهلًا فإنه لا يحكم عليه بالتكفير المعين حتى ينتفي في حقه هذا المانع والموانع الأخرى.

ويدل على هذا المانع: حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - السابق في قصة الرجل الذي لم يعمل خيرًا قط فأمر أولاده إذا مات أن يحرقوه ثم يذروا رماده في شديد الريح في البحر، وقال: "والله لئن قدر عليّ ليعذبني عذابا ما عذب به أحد " فغفر له. والحديث متفق عليه.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى(٣/ ٢٣٠)بعد ذكره لهذا الحديث: " فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذُري، بل اعتقد أنه لا يُعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، ولكن كان جاهلًا لا يعلم ذلك، وكان مؤمنًا يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك."

•قال الإمام محمد بن عبدالوهاب في مجموعته (١٢/ ٦٠): " وأما ما ذكره الأعداء عنّي أنّي أكفر بالظن وبالموالاة أو أكفّر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة فهذا بهتان عظيم."

•قال ابن عثيمين:

الجهل بالمكفر على نوعين:

الأول :أن يكون من شخص يدين بغير الإسلام، أو لا يدين بشيء، ولم يكن يخطر بباله أن دينًا يخالف ما هو عليه، فهذا تجري عليه أحكام الظاهر في الدنيا - أي أحكام الكفار - وأما في الآخرة فأمره إلى الله تعالى......

النوع الثاني :أن يكون من شخص يدين بالإسلام، ولكنه عاش على هذا المكفر، ولم يكن يخطر بباله أنه مخالف للإسلام، ولا نبهه أحد على ذلك، فهذا تجري عليه أحكام الإسلام ظاهرًا، أما في الآخرة فأمره إلى الله - عز وجل - وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم."

٢ -التأويل.

والتأويل :هو أن يرتكب المسلم أمرًا كفريًا معتقدًا مشروعيته أو إباحته له لدليل يرى صحته أو لأمر يراه عذرًا له في ذلك وهو مخطئ في ذلك كله.

فإذا اعتقد المسلم أو فعل أو قال أمرًا مخرجًا من الملة، وكان عنده شبهة تأويل في ذلك، وهو ممن يمكن وجود هذه الشبهة لديه، وكانت في مسألة يُحتملُ التأويل فيها، فإنه يُعذر بذلك، وحكى بعض العلماء إجماع أهل السنة على هذا المانع.

•قال الشافعي في الأم: الأقضية (٦/ ٢٠٥): " لم نعلم أحدًا من سلف هذه الأمة يقتدى به ولا من التابعين بعدهم ردّ شهادة أحد بتأويل، وإن خطأه وضلله ورآه استحل فيه ما حرم عليه، ولا ردّ شهادة أحد بشيء من التأويل كان له وجه يحتمله، وإن بلغ فيه استحلال الدم والمال أو المفرط من القول ". - وقال ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ٣٠٤): " قال العلماء كل متأول معذور بتأويله ليس بآثم إذا كان تأويله سائغًا في لسان العرب وكان له وجه في العلم."

•قال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢٣٩/٥): " إن المتأول الذي قصد متابعة الرسول –صلى الله عليه وسلم– لا يُكفَّر، بل ولا يُفسَّق إذا اجتهد فأخطأ، وهذا مشهور عند الناس في المسائل العملية، وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كفّر المخطئين فيها، وهذا القول لا يُعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع

•قال ابن عثيمين: " ومن الموانع أيضًا أن يكون له شبهة تأويل في المكفر، بحيث يظن أنه على حق، لأن هذا لم يتعمد الإثم والمخالفة، فيكون داخلًا في قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥]. ولأن هذا غاية جهده، فيكون داخلًا في قوله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] [انظر مجموع الفتاوى لابن عثيمين (جمع فهد السليمان " ١٣٦/٢
•ذكر بعض أهل العلم أنه من أجل هذا المانع – وهو مانع التأويل – لم يكفر الصحابة – رضي الله عنهم – الخوارج الذين خرجوا عليهم وحاربوهم وكفّروا الخليفة الراشد علي بن أبي طالب المشهود له بالجنة، واستحلوا دمه، حتى قتلوه، واستحلوا دماء جميع من خالفهم، مع أن بعض ما وقعوا فيه هو من الأمور التي يكفّر مرتكبها.